

مِنْ رِوَايَعِ الْأَمَمِ

أَبِي حَبِيبٍ الْجَنْبَلِيِّ

المتوفى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةَ ٧٩٥ هـ



انتخبها ورثتها

أَبُو حَبِيبٍ الْعَزِيزُ مَنِيرُ الْهَدْرِيِّ

دار الفنون
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

تم التصميم والإخراج الفني



f t Bè
loucyefdesign
+213559332713
أنت في المكان الصّح

دار الفنون
للنشر والتوزيع

مِنْ رِوَايَعِ الْأَعْلَمَاءِ

ابْنِ حَبِيبٍ الْجَنْبَلِيِّ

السُّوفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٧٩٥ هـ

انتخبها ورتبها

أَبُو حَبِيبٍ الْغَزَّيْرِيُّ مَنِيرُ بْنُ مَرْثَدَةَ

دار الفکر

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الله



مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، الرَّحِيمِ الْغَفَّارِ، مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ
وَالْأَبْصَارِ، مُقَدِّرِ الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مُكَوِّرِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ، وَمُكَوِّرِ
اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، أَسْبَلَ ذَيْلَ اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ لِلسُّكُونِ وَالِاسْتِتَارِ، وَأَنَارَ مَنْارَ
النَّهَارِ، فَأَضَاءَ لِلْحَرَكَةِ وَالِانْتِشَارِ، وَجَعَلَهُمَا مَوَاقِيتَ لِلْأَعْمَالِ وَمَقَادِيرَ
لِلْأَعْمَارِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحُسْبَانٍ وَمِقْدَارِ، وَيَعْتَقِبَانِ فِي دَارَةِ
الْفَلَكَ الدَّوَّارِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَدْوَارِ، وَجَعَلَهُمَا مَعَالِمَ لِيُعْلَمَ بِهِمَا أَوْقَاتُ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَيُهْتَدَى بِهِمَا إِلَى مِيقَاتِ الصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالْإِفْطَارِ، حُجَّةً قَائِمَةً قَاطِعَةً لِلْأَعْدَارِ، وَحِكْمَةً
بِالِغَةِ مِنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ذِي اقْتِدَارِ.

أَحْمَدُهُ، وَحَلَاوَةً مَحَامِدِهِ تَزْدَادُ مَعَ التَّكْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ، وَفَضْلُهُ عَلَى مَنْ
شَكَرَ مَذْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تُبْرِئُ قَائِلَهَا
مِنَ الشِّرْكِ بِصِحَّةِ الْإِقْرَارِ، وَتُبَوِّئُ قَائِلَهَا دَارَ الْقَرَارِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ الْبَدْرُ جَبِينُهُ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ، وَالْيَمُّ يَمِينُهُ
فَإِذَا سُئِلَ أَعْطَى عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْإِفْتَارَ، وَالْحَنِيفِيَّةُ دِينُهُ الدِّينُ الْقِيَمُ
الْمُخْتَارِ، رَفَعَ اللَّهُ بِبِعْتِهِ عَنْ أُمَّتِهِ الْأَغْلَالَ وَالْأَصَارِ، وَكَشَفَ بِدَعْوَتِهِ أَدَى
الْبَصَائِرِ وَقَدَى الْأَبْصَارِ، وَفَرَّقَ بِشَرِيعَتِهِ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ وَالْفُجَّارِ، حَتَّى امْتَارَ

أَهْلَ الْيَمِينِ مِنْ أَهْلِ الْيَسَارِ، وَانْفَتَحَتْ أَفْقَالُ الْقُلُوبِ فَأَنْشَرَحَتْ بِالْعِلْمِ
وَالْوَقَارِ، وَزَالَ عَنِ الْأَسْمَاعِ أَثْقَالُ الْأَوْقَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَوْلِي
الْإِقْدَامِ وَالْأَقْدَارِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَقْطَابِ الْأَقْطَارِ، صَلَاةٌ تُبَلِّغُهُمْ فِي تِلْكَ
الْأَوْطَانِ نَهَايَةَ الْأَوْطَارِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً^(١).

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مَجْمُوعٌ مُفِيدٌ رَائِقٌ، وَبَدِيعٌ نَافِعٌ فَائِقٌ، اسْتُخْرِجَتْ دُرَرُهُ مِنْ بَحْرِ
الْوَعْظِ وَالرَّقَائِقِ، دَبَّجَتْهُ يِرَاعَةٌ فَارِسٍ مِنَ الْفُرْسَانِ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، بَلْ مَمَّنْ
سَارَتْ بِذِكْرِهِ الرُّكْبَانُ، وَأُشِيرَ إِلَى مُؤَلَّفَاتِهِ بِالْبَنَانِ، كَلَامُهُ دُرٌّ مُتَنَاطِرَةٌ، وَلَا لِيٍّ
مُتَكَاثِرَةٌ، تُحْيِي النَّفْسَ وَالْقَلْبَ، وَتُشْحَذُ الذَّهْنَ وَاللُّبَّ، تَبْعَثُ عَلَى مَعَالِي
الرُّتَبِ وَالْمَكَارِمِ، وَتَنْهَى عَنِ الدَّنَايَا وَالْمَحَارِمِ، فَهُوَ مُحَرَّرٌ مُتَانِقٌ، وَكَاتِبٌ
مُتَنَوِّقٌ، فَإِذَا كَتَبَ السُّطُورَ نَمَّقَهَا وَدَبَّجَهَا، حَبَّرَهَا وَزَخَّرَهَا، بِجَمِيلِ الْعِبَارَةِ،
وَوَاضِحِ الْإِشَارَةِ.

إِنَّهُ الْعَلَامَةُ الْفَهَامَةُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
شَهَابِ الدِّينِ الْبَغْدَادِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ الشَّهِيرِ بِابْنِ رَجَبٍ تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِوَأَسْعِ
رَحْمَتِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الْمُصَنِّفُ بِهَذِهِ الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْغَالِيَةِ لِيَبْحُرَهُ فِي
مُخْتَلَفِ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ، وَتَبَوَّأَهُ مَرَاقِي الْأِدْرَاكِ وَالْفُهُومِ، فَقَدْ أَنْشَرَ صَدْرِي

(١) «لطائف المعارف» (ص ٢٥).

وَأَنْعَقَدَ عَزْمِي - مُتَوَكِّلاً عَلَى رَبِّي - أَنْ أَعْمَلَ جَاهِداً عَلَى اسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكَتْرِ
الدَّفِينِ، وَأَقْرَبَ مَا فِيهِ مِنَ الدَّرَرِ لِإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ.

أَخِي الْحَبِيبِ سَتَجِدُ نَفْسَكَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ فِي رَوْضَةٍ غَنَاءَ،
فَائِقَةَ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ، بَيْنَ أَسْوَارِهَا رِيَاضُ الصَّالِحِينَ، وَبُسْتَانُ الْوَاعِظِينَ،
تَقْطِفُ مِنْ ثِمَارِهِ الْيَانِعَةَ، وَفَوَاكِهِهِ الرَّائِعَةَ، مِمَّا يَرْجِعُ إِلَيْكَ بِالِاسْتِفَادَةِ
وَالِانْتِفَاعِ، وَالْحَلَاوَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ.

إِنِّي أَرْفَعُ رَايَةَ الْاسْتِسْلَامِ عَنْ وَصْفِ وَتَقْيِيمِ مُصَنَّفَاتِهِ الْعِظَامِ، فَالْعِبَارَاتُ
تَخُونَنِي، وَالْكَلِمَاتُ لَا تُسَاعِدُنِي؛ بَلْ كُنْتُ أَحْيَانًا أَقْفُ مُعْجَبًا مُنْذَهَشًا مَعَ
بَعْضِ الْكَلِمَاتِ، ثُمَّ أَرْجِعُ مُسَبِّحًا قَائِلاً: سُبْحَانَ الَّذِي يُوفِّقُ عَبْدَهُ لِدَلِكِ،
وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ.

عِلْمًا أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي الْبَاحِثُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَرِ، وَلَا يَتِمَكَّنُ الصِّيَادُ الْمَاهِرُ
مِنْ اقْتِنَاصِ هَذِهِ الْغُرَرِ إِلَّا بِتَبَعِهَا وَالتَّنْقِيبِ عَنْهَا: وَرَقَةً وَرَقَةً، وَصَفْحَةً
صَفْحَةً، وَأَنْ يَقْرَأَ الْكِتَابَ مِنَ الْغِلَافِ إِلَى الْغِلَافِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا،
وَاسْتِخْرَاجُهَا بِوَسَائِلِ وَطُرُقِ الْبَحْثِ الْحَدِيثَةِ، وَكَمَا قِيلَ قَدِيمًا: «لَا تُنَالُ
الْغُرَرَ إِلَّا بِرُكُوبِ الْغُرَرِ»^(١)، وَقَدْ بَلَغَتْ عَدَدُ الصَّفَحَاتِ الَّتِي رَجَعْتُ إِلَيْهَا
٣٨٣٩ صَفْحَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(١) «الْغُرَرُ: جَمْعُ أَعْرَ، وَهُوَ الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. الْغُرَرُ: الْخَطَرُ، وَالتَّعَرُّضُ لِلْهَلَكَةِ» «الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ
أُسُسُهَا وَعُلُومُهَا وَفُنُونُهَا» (٨٣٣).

إِنَّ الْمُتَمَلِّ فِي كِتَابَاتِ الْإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ يَجِدُهَا تَمَيِّزٌ «بُوضُوحِ الْأُسْلُوبِ، وَطَلَاوَةِ الْعِبَارَةِ وَحُسْنِ اسْتِقَامَةِ اللَّفْظِ، كُلُّ ذَلِكَ مَعَ عُمُقِ التَّفَكِيرِ وَالْغَوْصِ فِي الْمَعَانِي، وَابْنُ رَجَبٍ مُتَأَثِّرٌ بِثِقَافَةِ عَصْرِهِ، لِذَا رَأَيْنَاهُ يَذْهَبُ إِلَى السَّجْعِ حِينًا، وَيَدْعُهُ حِينًا، مُتَمَسِّكًا بِعِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، يَسْتَوِي فِي كُتُبِهِ الْكَبِيرَةِ، وَكُتُبِهِ الصَّغِيرَةِ»^(١)، يَنْطَبِقُ عَلَى أُسْلُوبِهِ قَوْلُ الْقَائِلِ: «خَيْرُ الْكَلَامِ مَا ظُرِفَتْ مَعَانِيهِ، وَشُرِفَتْ مَبَانِيهِ، وَالتَّدَّتْ بِهِ آذَانُ سَامِعِيهِ»^(٢).

♦ وَمِنْ بَابِ تَقْرِيْبِ عِلْمِ الْإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ لِمُحِبِّيهِ، جَمَعْتُ الْمَادَّةَ الْعِلْمِيَّةَ مُحَافِظًا عَلَى كَلَامِهِ بِأُسْلُوبِهِ وَحُرُوفِهِ، فَهَدَيْتُهُ وَرَتَبْتُهُ ثُمَّ قَسَمْتُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ مَطَالِبَ:

« الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: رَوَائِعُ الْكَلِمَاتِ، وَجَمِيلُ الْعِبَارَاتِ

فِي هَذَا الْمَطْلَبِ كَلِمَاتٌ رَائِعَةٌ انْتَقَيْتُهَا، وَعِبَارَاتٌ جَمِيلَةٌ انْتَخَبْتُهَا، وَهِيَ مَا اسْتَرَسَلَ وَأَسْهَبَ فِي بَعْضِهَا الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ بِرَائِقِ الْأُسْلُوبِ، وَبَلَغَ بِكَلَامِهِ كُنْهُ الْقُلُوبِ، مَلَكَ فِيهَا أَعْنَاقَ الْمَعَانِي، وَشَيَّدَ أَسْوَارَ الْمَبَانِي.

« الْمَطْلَبُ الثَّانِي: مُقَدِّمَاتُ لِكُتُبٍ وَمَوْلَفَاتٍ

الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ يُنَوِّعُ فِي مُقَدِّمَاتِ كُتُبِهِ وَمَوْلَفَاتِهِ، فَيَفْتَحُهَا إِمَّا بِالْبِسْمَلَةِ أَوْ الْحَمْدَلَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الشَّأِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةِ

(١) «ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ وَأَثَرُهُ فِي الْفِقْهِ» (ص ٢٠٧).

(٢) «بَهْجَةُ الْمُجَالِسِ» (ص ٦٤).

وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَانًا بِخُطْبَةِ الْحَاجَّةِ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَجْعَلُهَا مُقَدِّمَةً مَسْجُوعَةً، وَهِيَ الَّتِي حَدَدْتُهَا فِي هَذَا الْمَطْلَبِ، وَهِيَ مُنَاسِبَةٌ لِاسْتِفْتَاكِ الْخُطْبِ وَالْمُحَاضِرَاتِ، وَالْمَقَالَاتِ وَالْمَوْالِفَاتِ.

« الْمَطْلَبُ الثَّلَاثُ: وَمَضَاتٍ وَشَذَرَاتٍ

وَهِيَ مَا جَمَعَ فِيهَا الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَانِي جَلِيلَةَ فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، وَيُمْكِنُ عَنْوَنَتَهَا بِحِكْمَةٍ فِي سَطْرٍ، قَطَفْتُهَا مِنْ رَوَائِعِ كَلِمِهِ، وَمَشْكَاةِ حِكْمِهِ، دَلَّتْ عَلَى رُسُوحِ قَدَمِهِ، وَرَشَاقَةِ قَلَمِهِ.

« الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: قَصِيدَةُ (أَيُّ دَارِ الْخَرَابِ تَظَلُّ تَبْنِي؟!)

مِمَّا يُمَيِّزُ كِتَابَاتِ الْإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثْرَةَ الْأَسْتِدْلَالِ بِالشُّعْرِ، وَقَدْ لَا يُفَرِّقُ الْقَارِئُ بَيْنَ شِعْرِهِ، وَشِعْرِ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى رِسَالَتِهِ بِعُنْوَانِ: «ذَمُّ قَسْوَةِ الْقَلْبِ»، وَفِي مُزِيلَاتِ الْقَسْوَةِ بِالتَّحْدِيدِ... ذَكَرَ «كَثْرَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ» ثُمَّ «زِيَارَةَ الْقُبُورِ بِالتَّفَكُّرِ فِي حَالِ أَهْلِهَا وَمَصِيرِهِمْ» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَقُلْتُ وَاللَّهِ الْمُؤَفَّقُ» ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الْجَمِيلَةَ الْمُؤَثِّرَةَ فِي ٣٤ بَيْتًا.

وَفِي الْخِتَامِ:

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمُقَرَّبًا إِلَيْهِ وَإِلَى دَارِهِ، دَارِ السَّلَامِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَعِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ،

وَأَنْ يُوقِّعَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَيَخْتِمَ لَنَا بِخَيْرٍ فِي عَافِيَةٍ، فَإِنَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ،
وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ^(١).

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ^(٢).

مُحِبُّكُمْ فِي اللهِ

أَبُو جَبْرِ الْعَزِيزُ مَسْرُورُ بَنِي دُرَيْدٍ

(١) انظر: «لطائف المعارف» (ص ٣٢).

(٢) أهمُّ كتب الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ الَّتِي رَجَعْتُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ هِيَ:

١- مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ، تَحْقِيقُ نَاصِرِ النَّجَّارِ، مَكْتَبَةُ أَوْلَادِ الشَّيْخِ لِلتَّرَاثِ، بِمِصْرَ.

٢- جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ، تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ طَارِقِ بْنِ عَوْضِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، دَارُ ابْنِ الْجَوَازِيِّ، السُّعُودِيَّةُ.

٣- لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ، تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ طَارِقِ بْنِ عَوْضِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، لُبْنَانَ.



تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ

لِلْإِمَامِ ابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

• نَسَبُهُ وَمَوْلَدُهُ:

هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبِ الْبَغْدَادِيِّ ثُمَّ الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، الشَّهِيرُ بِالْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ، وَهُوَ لَقَبُ جَدِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي وُلِدَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، وَقَدْ طَعَتْ هَذِهِ النُّسْبَةُ عَلَى اسْمِهِ حَتَّى لَا يَكَادُ يُعْرَفُ إِلَّا بِهَا.

وُلِدَ بِبَغْدَادٍ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ (٧٣٦ هـ) عَلَى الرَّاجِحِ (١).

• نَشَأَتُهُ:

نَشَأَ فِي بَيْتِ عِلْمٍ وَفَقِيهِ، فَأَبُوهُ شَيْخٌ مُقْرَأٌ (٧٠٦-٧٧٤ هـ)، وَجَدُّهُ عَالِمٌ فَقِيهُ (٦٧٧-٧٤٢ هـ).

حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، ثُمَّ قَرَأَهُ بِالْقِرَاءَاتِ عَلَى أَبِيهِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ صَغِيرًا، وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ فِي حِلَقِ الْعُلَمَاءِ عَالِمًا بَعْدَ آخَرَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ الْعَقِيدَةِ، فَاتَّجَهَ إِلَى طَرِيقِ طَلَبِ الْعِلْمِ - وَالْعُودُ

(١) لِأَنَّهُ قِيلَ أَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ ٧٠٦ هـ، وَهَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّ الْإِمَامَ ابْنَ رَجَبٍ نَفَسَهُ صَرَخَ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَهُوَ صَغِيرٌ فَقَالَ: «وَحَضَرْتُ دَرْسَهُ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ صَغِيرٌ لَا أَحِقُّهُ جَيْدًا» ثُمَّ قَالَ عَنْهُ: «تُوُفِّيَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ٧٤١ هـ» «ذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» (١٠٥/٥).

أَخْضَرُ - يَنْهَلُ مِنْ مَعِينِهِ الْعَذْبُ، وَيَتَغَذَى مِنْ وَرْدِهِ الْمَوْرُودُ، وَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ ذِكَاً نَادِراً، وَحَافِظَةً قَوِيَّةً.

• شَيْوَحُهُ:

سَمِعَ بِمُضَرَ مِنَ الْمَيْدُومِيِّ، وَبِالْقَاهِرَةِ مِنْ ابْنِ الْمُلُوكِ، وَبِدِمَشْقَ مِنْ ابْنِ الْخَبَّازِ، وَجَمَعَ عِلْمًا جَمًّا، وَرَافَقَ الشَّيْخَ زَيْنَ الدِّينِ الْعِرَاقِيَّ فِي السَّمَاعِ كَثِيرًا، كَمَا أَخَذَ كَذَلِكَ عَلَيَّ:

الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ قَيْمِ الْجَوْزِيَّةِ (٧٥١هـ) حَيْثُ لَارَمَهُ ابْنُ رَجَبٍ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ تَصَانِيفِهِ كَالنُّونِيَّةِ (الْكَافِيَةُ الشَّافِيَّةُ فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ)، وَهُوَ دُونَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

كَمَا أَخَذَ عَنِ الْفَقِيهِ ابْنِ النَّبَاشِ الْحَنْبَلِيِّ، حَيْثُ قَرَأَ عَلَيْهِ «مُخْتَصَرَ الْخِرَقِيِّ» فِي فِقْهِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ أَجْزَاءً كَثِيرَةً مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، وَلَا زَمَهُ حَتَّى مَمَاتِهِ.

وَسَمِعَ مِنَ الْحَافِظِ الْجَمَالِ دَاوُدَ بْنِ الْعَطَّارِ (٧٥٢هـ)، وَسَمِعَ مِنْهُ بِدِمَشْقَ مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ كَامِلًا.

• عِلْمُهُ:

بَرَعَ وَمَهَرَ فِي فُنُونِ الْحَدِيثِ: أَسْمَاءٌ وَرِجَالًا وَعِلَلًا وَطُرُقًا، وَاطَّلَاعًا عَلَى مَعَانِيهِ، وَقَدْ بَلَغَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ مَكَانَةَ عِلْمِيَّةً مَرْمُوقَةً، تَمَيَّزَتْ فِي أَرْبَعَةِ مَحَاوِرَ:



أ - الْمَكَانَةُ الْعَقْدِيَّةُ: وَفِيهَا بَلَغَ الْحَافِظُ رُبَّةَ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ، فَلَا تُذَكَّرُ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ إِلَّا وَيُشَادُّ بِدُعَاتِهِ وَمَنْ كَوَّكَبْتَهُمُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهَا كُتُبًا وَمُؤَلَّفَاتٍ عَدِيدَةً وَسَدِيدَةً، فَضْلًا عَنْ حَفَاوَتِهِ وَعِنَايَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ لِعَقِيدَةِ السَّلَفِ فِي ثَنَائَا كُتُبِهِ الْأُخْرَى.

ب - الْمَكَانَةُ الْحَدِيثِيَّةُ: وَقَدْ حَظِيَ فِيهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ بِالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، فَقَدْ أَسْهَمَ فِيهَا بِتَأْلِيفِ بَدِيعَةٍ، وَفَاقَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ وَالْعَوْدَةِ بِالرُّكْبِ الْحَدِيثِيِّ إِلَى مَنْهَجِ الْعُلَمَاءِ الْأَوَائِلِ الْكِبَارِ، وَذَلِكَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ حَيْثُ تَوَجَّهَ صَغِيرًا لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ، وَتَحْصِيلِ مَسْمُوعَاتِهِ وَإِجَازَاتِهِ، وَعَوَالِيهِ وَفَوَائِدِهِ عِلْمًا وَسَنَدًا وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ كَابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ طَاعَ كُتُبَهُ يُدْرِكُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَالِيَةَ.

ج - الْمَكَانَةُ الْفِقْهِيَّةُ: وَقَدْ تَبَوَّأَهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبِ الْحَنْبَلِيُّ لَدَى فُقَهَاءِ الْحَنَابِلَةِ بِالْخُصُوصِ، فَأَضْحَى عِنْدَهُمُ الْفَقِيهَ الْمُقْعَدَ، وَالْمُفْتِيَ الْمُجْتَهِدَ، وَمِمَّا خَدَمَ بِهِ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى رُسُوحِهِ وَإِمَامَتِهِ فِيهِ مَا صَنَّفَهُ فِي ذَلِكَ.

د - زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ: وَقَدْ جَدَّدَ **رَحْمَةُ اللَّهِ** الزُّهْدَ الْعَفِيفَ وَالْمُنْضَبِطَ بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَةِ الْوَصِيَّةِ الشَّرِيفَةِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا خَلَّصَهُ مِنْ شَوَائِبِ زُهْدٍ وَشَطَحَاتِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَجَعَلَهُ كَحَالِ الصَّحَابَةِ وَمَسَالِكِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ وَفُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُعْتَبَرِينَ.

• أشهر مؤلفاته:

أما تصانيف الحافظ ابن رجب الحنبلي فقد بلغت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة نيفاً وسبعين كتاباً ورسالة؛ منها:

- ١- «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» بلغ فيه إلى كتاب الجنائز.
- ٢- «شرح الجامع الصحيح للترمذي» بلغ فيه إلى كتاب الجنائز.
- ٣- «جامع العلوم والحكم».
- ٤- «ذيل طبقات الحنابلة».
- ٥- «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف».
- ٦- «كتاب الخراج».
- ٧- «نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ إلى ابن عباس».
- ٨- «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة».
- ٩- «كلمة الإخلاص».
- ١٠- «اختيار الأولى في شرح حديث اختلاف الملائم الأعلى».
- ١١- «أحكام الخواتم وما يتعلق بها».
- ١٢- «اختيار الأبر في سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما».
- ١٣- «الاستخراج لأحكام الخراج».
- ١٤- «الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان».



- ١٥- «اسْتِنشَاقُ نَسِيمِ الْأُنْسِ مِنْ تَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ».
- ١٦- «الاسْتِيْطَانُ فِيمَا يَعِصُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ».
- ١٧- «أَهْوَالُ الْقُبُورِ وَأَحْوَالُ أَهْلِهَا إِلَى دَارِ النُّشُورِ».
- ١٨- «البَشَارَةُ الْعُظْمَى لِلْمُؤْمِنِ بِأَنَّ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ الْحَمَى».
- ١٩- «بَيَانُ الْعِلْمِ وَانْقِسَامُهُ إِلَى نَافِعٍ وَغَيْرِ نَافِعٍ» = «فَضْلُ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَى عِلْمِ الْخَلْفِ».
- ٢٠- «التَّحْذِيرُ فِي الْمَنَعِ مِنَ لَبْسِ الْحَرِيرِ».
- ٢١- «التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ وَالتَّعْرِيفُ بِحَالِ دَارِ الْبَوَارِ».
- ٢٢- «تَسْلِيَةُ نُفُوسِ الْآبَاءِ وَالرَّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَطْفَالِ».
- ٢٣- «تَعْلِيْقُ الطَّلَاقِ بِالْوِلَادَةِ».
- ٢٤- «تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ».
- ٢٥- «تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ».
- ٢٦- «تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ».
- ٢٧- «الْحِكْمُ الْجَدِيرَةُ بِالْإِذَاعَةِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ»».
- ٢٨- «الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ» = «قَاعِدَةٌ فِي الْخُشُوعِ».
- ٢٩- «ذَمُّ الْجَاهِ وَالْمَالِ» = «شَرْحُ حَدِيثِ «مَا ذُبَّانَ جَائِعَانَ»».



- ٣٠- «ذَمُّ الخَمْرِ وَشَارِبِهَا».
- ٣١- «ذَمُّ فَسْوَةِ القَلْبِ».
- ٣٢- «رِسَالَةٌ فِي غَمِّ الهَلَالِ» = «قَاعِدَةٌ فِي رُؤْيَةِ هَلَالِ ذِي الحِجَّةِ».
- ٣٣- «رِسَالَةٌ فِي فَضِيلَةِ شَهْرِ رَجَبٍ».
- ٣٤- «رِسَالَةٌ فِي مَعْنَى العِلْمِ وَأَنْوَاعِهِ».
- ٣٥- «سِيرَةُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ».
- ٣٦- «شَرْحُ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ: «إِنَّ أَعْظَمَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي...»».
- ٣٧- «شَرْحُ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي بِهِ عِلْمًا»».
- ٣٨- «شَرْحُ حَدِيثِ أَنَسٍ: «يَتَّبِعُ المَيِّتَ ثَلَاثًا»».
- ٣٩- «شَرْحُ حَدِيثِ بَدَأِ الإِسْلَامِ غَرِيبًا» = «كَشْفُ الكُرْبَةِ فِي وَصْفِ حَالِ أَهْلِ العُرْبَةِ».
- ٤٠- «شَرْحُ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ...»».
- ٤١- «شَرْحُ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ: «إِذَا أَكْثَرَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ»».
- ٤٢- «شَرْحُ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبِ»».
- ٤٣- «شَرْحُ حَدِيثِ النَّوَّاسِ: «مَثَلُ الإِسْلَامِ الَّذِي ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ»».
- ٤٤- «شَرْحُ عَلَلِ التِّرْمِذِيِّ».
- ٤٥- «غَايَةُ النِّفَعِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ تَمَثِيلِ المُؤْمِنِ بِخَامَةِ الزَّرْعِ».





٤٦- «فَصَائِلُ الشَّامِ».

٤٧- «الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾».

٤٨- «الْمَحَجَّةُ فِي سَيْرِ الدُّلْجَةِ».

٤٩- «مُعَامَلَةُ الظَّالِمِ السَّارِقِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْحَقَائِقِ».

٥٠- «مُقَدِّمَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَانَ دِينُهُمُ الْإِسْلَامَ».

٥١- «نُزْهَةُ الْأَسْمَاعِ فِي مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ».

مَعَ الْعَدِيدِ مِنَ الْفَتَاوَى الْمُصَنَّفَةِ فِي مُنَاسَبَاتٍ لِأَثْقَةِ بِهَا، وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ لِمَوْلَاتِهِ الرَّضَى وَالْقَبُولَ، وَالْفَرَحَ وَالشُّرُورَ لَدَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَمُجِيبِ السُّنَّةِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ^(١).

• طَلَابُهُ:

حَمَلَ الْحَافِظُ ابْنَ رَجَبٍ رَحْمَةَ اللَّهِ رَايَةَ الْإِصْلَاحِ، وَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، مُقْتَبِسًا نُورَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَأَخَذَ يَدَاوِي مُجْتَمَعَهُ مِنْ أَمْرَاضِهِ فِي مَجَالِسِ تَذْكِيرِهِ وَوَعْظِهِ، وَحَلَقَاتِ تَرْبِيَّتِهِ وَنُصْحِهِ الَّتِي تَتَّصَدَّقُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَتُذَرَفُ فِيهَا الْعُيُونُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى التَّأْثِيرِ فِي النُّفُوسِ، فَاسْتَفَادَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرُونَ إِمَّا سَمَاعًا، وَإِمَّا مَا سَطَّرَهُ فِي كُتُبِهِ وَمَوْلَاتِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

(١) انظر: «إنباء الغمر بانباء العمر» (٣/ ١٧٥)، و«الأنبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب» (ص ٣٠٧).

وَقَدْ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، اَزْدَادُوا شَرَفًا بِهِ، أَكْثَرَ مِمَّا تَشَرَّفَ بِهِمْ:

- الْفَقِيهَ عَلِيَّ الْبَعْلِيَّ، ابْنَ اللَّحَامِ (٨٠٣هـ)، وَقَدْ لَازَمَهُ وَكَتَبَ بِخَطِّهِ أَكْثَرَ كُتُبِهِ.

- الْحَافِظَ عَلِيَّ بْنَ الْحَمَوِيِّ (٨٢٨هـ)، وَقَدْ لَازَمَهُ وَكَتَبَ عَنْهُ.

- الْفَقِيهَ أَحْمَدُ بْنَ نَصْرِ اللهِ الْحَنْبَلِيِّ (٨٤٤هـ).

وغيرهم كثير.

• عِبَادَتُهُ وَأَخْلَاقُهُ:

وَكَانَ صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَتَهَجُّدٍ، وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ كَلَامُ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْحَنْبَلِيَّةِ لَمَّا قَالَ عَنْهُمْ: «تَقَلَّصَتْ أَخْلَاقُهُمْ عَنِ الْمُخَالَطَةِ، وَغَلَطَتْ طِبَاعُهُمْ عَنِ الْمُدَاخَلَةِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْجِدُّ، وَقَلَّ عِنْدَهُمُ الْهَزْلُ، وَرَغِبَتْ نَفْسُهُمْ عَنِ ذُلِّ الْمُرَاءَةِ، وَفَزِعُوا عَنِ الْآرَاءِ إِلَى الرَّوَايَاتِ، وَتَمَسَّكُوا بِالظَّاهِرِ تَحَرُّجًا عَنِ التَّأْوِيلِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، فَلَمْ يُدَقِّقُوا فِي الْعُلُومِ الْغَامِضَةِ، بَلْ دَقَّقُوا فِي الْوَرَعِ، وَأَخَذُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْعُلُومِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ قَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيهَا، مِنْ خَشْيَةِ بَارِيهَا»^(١).

وَقَدْ قِيلَ عَنْهُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ، وَلَا يَتَرَدَّدُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْوِلَايَاتِ»^(٢).

(١) «ذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنْبَلِيَّةِ» (٣/١٥٢).

(٢) «شَدْرَاتُ الذَّهَبِ» (٦/٣٣٩).



وَمِمَّا يُبَيِّنُ وَرَعَهُ وَإِخْلَاصَهُ - نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ وَلَا نُزَكِّيهِ عَلَى اللَّهِ - مَا حَكَاهُ تَلْمِيذُهُ ابْنُ اللَّحَّامِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ لَنَا الشَّيْخُ مَسْأَلَةً فَأَطْنَبَ فِيهَا، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ إِتْقَانِهِ لَهَا، فَوَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَحْضَرٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهَا الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ!

فَلَمَّا قَامَ قُلْتُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فِيهَا بِذَلِكَ الْكَلَامِ؟!

قَالَ: إِنَّمَا أَتَكَلَّمْتُ بِمَا أَرَجُو ثَوَابَهُ، وَقَدْ خِفْتُ مِنَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ»^(١).

• ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

قَالَ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الزَّاهِدُ الْقُدْوَةُ، الْبَرَكَةُ الْحَافِظُ الْعُمْدَةُ الثَّقَّةُ الْحُجَّةُ، وَاعْظُ الْمُسْلِمِينَ، مُفِيدُ الْمُحَدِّثِينَ،.. أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الزُّهَادِ، وَالْعُلَمَاءِ الْعِبَادِ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ فَهْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ، وَالْفَقِيهُ الْعُمْدَةُ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الزُّهَادِ الْأَئِمَّةِ الْعِبَادِ، مُفِيدُ الْمُحَدِّثِينَ، وَاعْظُ الْمُسْلِمِينَ،.. كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامًا وَرِعًا زَاهِدًا مَالَتْ الْقُلُوبُ بِالْمَحَبَّةِ إِلَيْهِ، وَأَجْمَعَتْ الْفِرْقَ عَلَيْهِ، كَانَتْ مَجَالِسُ تَذْكِيرِهِ لِلْقُلُوبِ وَلِلنَّاسِ عَامَّةً نَافِعَةً، وَلِلْقُلُوبِ صَادِعَةً»^(٣).

(١) «الْجَوْهَرُ الْمُنْضَدُ» (ص ٤٠).

(٢) «الرَّدُّ الْوَافِرُ» (١٠٦).

(٣) «لَحْظُ الْأَلْحَاطِ» (١/١١٨).

وَقَالَ ابْنُ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «السَّيِّخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، الرَّاهِدُ الْقُدْوَةُ الْبَرَكَهُ، الْحَافِظُ الْعُمْدَةُ الثَّقَةُ الْحُجَّةُ، وَكَانَتْ مَجَالِسُ تَذْكِيرِهِ لِلْقُلُوبِ وَلِلنَّاسِ عَامَّةً مُبَارَكَةً نَافِعَةً، اجْتَمَعَتْ الْفِرْقُ عَلَيْهِ، وَمَالَتِ الْقُلُوبُ بِالْمَحَبَّةِ إِلَيْهِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ مُفِيدَةٌ، وَمُؤَلَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ.. وَكَانَ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ وَلَا يَتَرَدَّدُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْوَلَايَاتِ»^(١).

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ الْوَاعِظُ»^(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَهَّرَ فِي فُنُونِ الْحَدِيثِ أَسْمَاءً وَرِجَالًا، وَعِلَلًا وَطُرُقًا، وَاطَّلَاعًا عَلَى مَعَانِيهِ، وَكَانَ صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَتَهَجُّدٍ»^(٣).

قَالَ يُوسُفُ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي رَحِمَهُ اللهُ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ، أَوْحَدُ الْأَنَامِ، قُدْوَةُ الْحُفَظَاءِ، جَامِعُ الشَّتَاتِ وَالْفَضَائِلِ.. الْفَقِيهُ الرَّاهِدُ الْبَارِعُ الْأُصُولِيُّ الْمُفِيدُ الْمُحَدِّثُ»^(٤).

• وَفَاتُهُ:

بَعْدَ رِحْلَةٍ حَافِلَةٍ بِالْعَطَاءِ الْعِلْمِيِّ تَأْلِيْفًا وَتَدْرِيبًا وَوَعْظًا وَتَذْكِيرًا وَعِبَادَةً، وَافَاهُ الْأَجَلَ بِدِمَشْقَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٩٥ هـ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ حُسْنِ خَاتِمَتِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي رَحِمَهُ اللهُ فِي ذَيْلِهِ عَلَى ذَيْلِ ابْنِ رَجَبٍ، حَيْثُ قَالَ: «وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ الْقَوَاعِدِ لَهُ: مَاتَ مُصَنِّفُهُ

(١) «شَدْرَاتُ الذَّهَبِ» (٦/٣٣٩).

(٢) «ذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحُفَظَاءِ» (١/١٤٣).

(٣) «أَنْبَاءُ الْعُمْرِ» (٣/١٧٦).

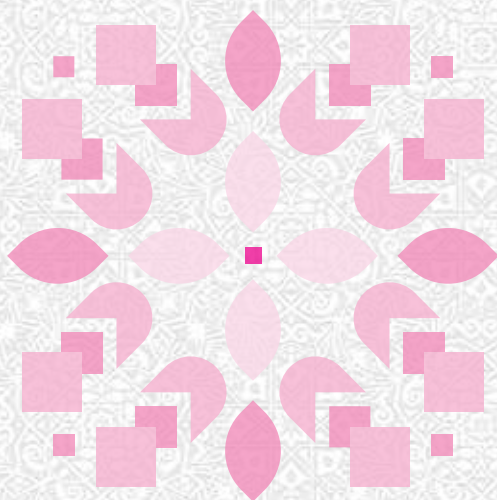
(٤) «الْجَوْهَرُ الْمُنْضَدُ» (ص٤٧).



بَعْدَ الْعَصْرِ ثَالِثَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٩٥ هـ، وَقَالَ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ - ثَلَاثِينَ
مَرَّةً - يَا اللَّهُ الْعَفْوُ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْبَابِ الصَّغِيرِ^(١).



(١) «الْجَوْهَرُ الْمُنْضَدُّ» (ص ٥٣).



المَطَلَبُ الأوَّلُ:

رَوَائِعُ الكَلِمَاتِ، وَجَمِيلُ العِبَارَاتِ



يَا مَنْ يَطْمَعُ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«أَصِفْ الْإِيثَارَ لِمَنْ يَبْخُلُ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْأَعْيَانِ؟!
أَطْلُبُ الشَّجَاعَةَ مِنَ الْجَبَانَ، أَوْ أَسْتَشْهَدُ عَلَى رُؤْيَةِ الْهَلَالِ مَنْ هُوَ مِنْ
جُمْلَةِ الْعُمَيَّانِ؟!»

كَمْ بَيْنَ مَنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [التوبة: ٧٦]،
وَبَيْنَ مَنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟!

فَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، إِلَّا كَمَا بَيْنَ الْيَقْظَةِ وَالنَّوْمِ...

فِيَا مَنْ يَطْمَعُ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ صَالِحٍ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ:
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
[الجاثية: ٢١]»^(١).

يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَانْقَلَبَ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«مَنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ تَقْوَاهُمْ لَمْ يَدْرِ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ، وَمَنْ لَّمْ يُشَاهِدْ
جَمَالَ يُوسُفَ لَمْ يَدْرِ مَا الَّذِي أَلَمَ قَلْبَ يَعْقُوبَ، وَسِئِلَ السَّرِيَّ السَّقْطِيُّ عَنْ
حَالِهِ فَانْشَدَ:

(١) «اخْتِيارُ الْأَوْلَى»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/ ٩٦).

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَدْرِكَيْفَ تُفَتَّتْ الْأَكْبَادُ
 أَيَّنَ رِجَالِ اللَّيْلِ؛ أَيَّنَ ابْنُ أَذْهَمَ وَالْفُضَيْلُ؛ ذَهَبَ الْأَبْطَالُ وَبَقِيَ كُلُّ بَطَالٍ.
 يَا مَنْ رَضِيَ مِنَ الزُّهْدِ بِالزَّيِّ، وَمِنَ الْفُقْرِ بِالْأَسْمِ، وَمِنَ التَّصَوُّفِ بِالصُّوفِ،
 وَمِنَ التَّسْبِيحِ بِالسُّبْحِ، أَيَّنَ فَضْلُ الْفُضَيْلِ؟ أَيَّنَ جِدُّ الْجُنَيْدِ؟ أَيَّنَ سِرُّ السَّرِيِّ؟
 أَيَّنَ بَشْرُ بَشِيرٍ؟ أَيَّنَ هِمَّةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَذْهَمَ؟ وَيُحَكُّ إِنَّ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَعْرِفَةِ
 مَعْرُوفٍ فَانْدُبْ عَلَى رُبْعٍ رَابِعَةً...

يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَانْقَلَبَ، يَا مَنْ كَانَ لَهُ وَقْتُ مَعَ اللَّهِ فَذَهَبَ، قِيَامُ
 الْأَسْحَارِ يَسْتَوْحِشُ لَكَ، صِيَامُ النَّهَارِ يَسْأَلُ عَنْكَ، لِيَالِي الْوِصَالِ تُعَاتِبُكَ
 عَلَى انْقِطَاعِكَ:

إِخْوَانِي: مَجَالِسُ الذُّكْرِ شَرَابُ الْمُحِبِّينَ، وَتَرْيَاقُ الْمُذْنِبِينَ، **«قَدْ عَلِمَ
 كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ»**، مَجَالِسُ الذُّكْرِ مَاتِمُ الْأَحْزَانِ؛ فَهَذَا يَبْكِي لِذُنُوبِهِ، وَهَذَا
 يَنْدُبُ لِعُيُوبِهِ، وَهَذَا يَتَأَسَّفُ عَلَى فَوَاتِ مَطْلُوبِهِ، وَهَذَا يَتَلَهَّفُ لِإِعْرَاضِ
 مَحْبُوبِهِ، وَهَذَا يَنْوُحُ بِوَجْدِهِ وَهَذَا يَنْوُحُ عَلَى فَقْدِهِ»^(١).

مُوجِبَاتُ الْمَحَبَّةِ

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا صَدَقَتْ أَوْجَبَتْ مَحَبَّةَ طَاعَتِهِ
 وَامْتِنَالِهَا، وَبُغْضَ مَعْصِيَتِهِ وَاجْتِنَابَهَا، وَقَدْ يَقَعُ الْمُحِبُّ أَحْيَانًا فِي تَفْرِيطٍ فِي

(١) «اخْتِيَارُ الْأَوْلَى»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/١٥٦).



بعض المأمورات، وارتكاب لبعض المحظورات، ثم يرجع على نفسه بالملازمة، وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة»^(١).

أعظم عذاب أهل النار

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«قال الله تعالى في حق الفجار: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ^(١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ^(١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ^(١٧)» [المطففين: ١٤ - ١٧].

فوصفهم بأن كسبهم ران على قلوبهم، والرآن هو ما يعلو على القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها، ثم ذكر جزاءهم على ذلك، وهو ثلاثة أنواع: الحجاب عن ربهم، ثم صلي الجحيم، ثم التوبيخ. فأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم عز وجل، ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية، لا يصل إليها شيء من نور الإيمان، وحقائق العرفان، كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن»^(٢).



(١) «استنشاق نسيم الأنس»، «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (١/ ١٧٥).

(٢) «استنشاق نسيم الأنس»، «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (١/ ٢٤٤).

مِنْ غَلَطَاتٍ وَمُعَالَطَاتٍ بَعْضُهُمْ

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَدْ غَلَطَ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَمْرِهِمْ ^(١) فَظَنُّوا أَنَّ حَالَهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكَمَالِ، وَأَنَّ الْعُقَلَاءَ كُلَّهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، وَالْعُمَمَالُ لِلَّهِ مُقَصَّرُونَ عَنْ دَرَجَتِهِمْ، وَهَذَا خَطَأٌ قَبِيحٌ جِدًّا، ثُمَّ أَدَخَلُوا فِي طَبَقَتِهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَجَانِينَ الَّذِينَ لَا حِكْمَةَ لَدَيْهِمْ وَلَا ظَهَرَ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْوَالِ الصَّحِيحَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا تَظْهَرُ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ بِالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الشَّنِيعَةِ، وَلَكِنْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِهِمْ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِهِمْ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ، مِمَّا قَدْ ظَهَرَ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنَ الرَّهْبَانِ وَالْكُهَّانِ، وَنَشَأَ بِهَذَا السَّبَبِ اعْتِقَادُ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَهُمْ طَرِيقَةٌ غَيْرُ طَرِيقَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّهُمْ وَاقِفُونَ مَعَ الْحَقِيقَةِ لَا يَتَّقِيْدُونَ بِالشَّرِيعَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ وَالْبِدَعِ الْفَظِيعَةِ.

وَوَجَدَ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي صَدْرِهِ النِّفَاقَ كَامِنًا مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلُولِيَّةِ وَالْإِبَاحِيَّةِ سَبِيلًا إِلَى إِظْهَارِ مَا فِي نَفْسِهِمْ، فَعَظُمَ الْخَطْبُ بِذَلِكَ وَاشْرَبَّ النِّفَاقَ، وَلَوْ سَمِعَ بِذَلِكَ أَيْمَّةَ الطَّرِيقِ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ كَالْجُنَيْدِ وَمَنْ قَبْلَهُ لَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ فِي إِنْكَارِ هَذِهِ الْعِظَائِمِ، وَلَنْ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ:

❖ **وَلْيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴿[الحج: ٤٠]﴾ ^(٢).

(١) قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يُذَكَّرُ بِالْمَحَبَّةِ رَبِّمَا حَصَلَ لَهُ وَسْوَسةٌ وَنَوْعٌ تَغْيِيرٌ عَقْلٍ، كَسَعْدُونَ

وَسَمْنُونَ... وَمَنْ هُوَ لَاءٌ مَنْ كَانَ يُسَمَّى مَجْنُونًا كَسَعْدُونَ وَغَيْرِهِ، وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا عُقَلَاءَ الْمَجَانِينَ..»

«اسْتِشْقَاقُ نَيْسَمِ الْأَنْسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/ ٢٦٥).

(٢) «اسْتِشْقَاقُ نَيْسَمِ الْأَنْسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/ ٢٦٦).





يَا جُنُودَ الْعَزَائِمِ اثْبُتُوا

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كَيْفَ يَأْمَنُ مَنْ قَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ؟

كَيْفَ يَطِيبُ عَيْشُ مَنْ لَا يَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ؟

كَمْ مِنْ عَامِلٍ خَاشِعٍ وَقَعَ عَلَى قِصَّةِ عَمَلِهِ؟ ❖ **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ** ﴿تَصَلَّى نَارًا

حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣ - ٤]...

الْمِخْنَةُ الْعُظْمَى أَنْ أَمْرَكَ كُلُّهُ بِيَدٍ مَنْ لَا يُبَالِي بِوُجُودِكَ وَلَا عَدَمِكَ، كَمْ

أَهْلَكَ قَبْلَكَ مِثْلَكَ؟ ❖ **قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ**

ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿[المائدة: ١٧]...﴾

الْعَبْدُ يَحْتَاجُ إِلَى الثَّبَاتِ فِي طُولِ حَيَاتِهِ، وَأَحْوَجُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ

مَمَاتِهِ...

مَنْ دَخَلَ فِي الطَّاعَةِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

يَا مَعْشَرَ التَّائِبِينَ، أَنْتُمْ تُقَاتِلُونَ جُنُودَ الْهَوَى بِجُنُودِ التَّقْوَى، فَاصْبِرُوا

وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا، لَا تَقُولُوا: جُنُودُ الْهَوَى لَا طَاقَةَ لَنَا بِهَا، وَلَكِنْ: ❖ **وَأَصْبِرُوا**

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[الأنفال: ٤٦]..﴾

يَا جُنُودَ الْعَزَائِمِ اثْبُتُوا واحذروا هَيْبَةَ^(١) الْهَزِيمَةِ: ❖ **إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ**

صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴿[الأنفال: ٦٥]...﴾

(١) جَاءَ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (١٠/٥٠٢): «وَالْهَيْبَةُ الْفُضِيحَةُ».

يَا قَوْم: الثَّبَاتَ الثَّبَاتِ، وَالْمُدَاوِمَةَ الْمُدَاوِمَةَ إِلَى الْمَمَاتِ.

يَا مَعْشَرَ التَّائِبِينَ، صُومُوا الْيَوْمَ عَنْ شَهَوَاتِ الْهَوَى، لِتُدْرِكُوا عِيدَ الْفِطْرِ
يَوْمَ اللِّقَاءِ، لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ بِاسْتِيطَاءِ الْأَجَلِ، فَإِنَّ مُعْظَمَ نَهَارِ الصِّيَامِ
قَدْ ذَهَبَ، وَعِيدُ اللِّقَاءِ قَدْ اقْتَرَبَ... مَنْ سَارَ فِي طَرِيقِ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى لِقَاءِ
الْحَبِيبِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَوَاصِلَةِ السَّيْرِ حَتَّى يَصِلَ، فَإِنَّ وَقْفَ فِي الطَّرِيقِ أَوْ رَجَعَ
هَلَكَ، فَإِنَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ أَلَمُ السَّيْرِ، فَلْيَذْكُرْ رَاحَةَ الْوُصُولِ وَقَدْ زَالَ التَّعَبُ...»^(١).

مَنْ صَدَقَ الْعَزِيمَةَ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«مَنْ صَدَقَ الْعَزِيمَةَ يَيْسَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَمَتَى كَانَ الْعَبْدُ مُتَرَدِّدًا طَمَعَ فِيهِ
الشَّيْطَانُ وَسَوَّفَهُ وَمَنَاهُ، يَا هَذَا، كَلَّمَا رَاكَ الشَّيْطَانُ قَدْ خَرَجْتَ مِنْ مَجْلِسِ
الدُّكْرِ كَمَا دَخَلْتَ، وَأَنْتَ غَيْرُ عَازِمٍ عَلَى الرَّشْدِ فِرْحَ بِكَ إِبْلِيسُ، وَقَالَ: فَدَيْتُ
مَنْ لَا يُفْلِحُ، يَا مَنْ شَابَ وَلَا تَابَ، وَلَا عَزَمَ عَلَى الرَّشْدِ وَلَا أَنْابَ، لَقَدْ
أَفْرَحْتَ الشَّيْطَانُ، وَأَسْخَطْتَ الرَّحْمَنَ»^(٢).

(١) «جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» / ١ / ٣٦٩

(٢) «جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ»



تَذَكَّرْ ذُنُوبَكَ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنْ أَهَمَّتْهُ ذُنُوبُهُ صَارَتْ نُصَبَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَنْسَهَا، وَمَنْ لَمْ تَهْمُهُ ذُنُوبُهُ؛ هَانَتْ عَلَيْهِ فَنَسِيهَا، فَلَمْ يَذْكُرْهَا إِلَى يَوْمٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ: «وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى».

إِذَا نُشِرَ دِيْوَانُ السَّيِّئَاتِ ضَجَّ أَرْبَابُ الْجَرَائِمِ مِنْ صِغَارِهَا قَبْلَ كِبَارِهَا:

«وَيَقُولُونَ يَا وَيَلَّتْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»^(١).

«وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^(٢)

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَ (آخِرُ اللَّيْلِ هُوَ) آخِرُ أَوْقَاتِ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَضَمِّنِ لِاسْتِعْرَاضِ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، وَاسْتِغْفَارِ الْمُذْنِبِينَ، وَتُوبَةِ التَّائِبِينَ، وَسَطُ اللَّيْلِ لِلْمُحِبِّينَ لِلْخُلُوعِ بِحَبِيْبِهِمْ، وَآخِرُ اللَّيْلِ لِلْمُذْنِبِينَ يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

مَنْ عَجَزَ عَنْ مُشَارَكَةِ الْمُحِبِّينَ فِي الْجَرِيِّ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ فَلَا أَقْلَ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمُذْنِبِينَ فِي الْإِعْتِدَارِ»^(٣).

(١) «جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٣٩٢ / ١).

(٢) [الذاريات: ١٨].

(٣) «الْمَحْجَّةُ فِي سَبْرِ الدَّلْجَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٤٣٩ / ١).



«يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«يَا هَذَا لَوْ أَنَّكَ قَصَدْتَ بَابَ وَالِي الشَّرْطَةِ، لَمَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ وَلَا تَلَقَّاكَ، وَرُبَّمَا حَجَبَكَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَأَقْصَاكَ، وَمَلِكُ الْمُلُوكِ يَقُولُ: «وَأِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُوْلَةً»^(١).

وَأَنْتَ عَنْهُ مُعْرِضٌ وَعَلَى غَيْرِهِ مُقْبِلٌ، لَقَدْ غُبِنْتَ أَفْحَشَ الْغُبْنِ وَخَسِرْتَ أَكْبَرَ الْخُسْرَانِ.

... يَا مَعْشَرَ الْمُرِيدِينَ قَدْ وَضَحَ الطَّرِيقَ، فَمَا هَذَا التَّأَخُّرُ عَنِ السُّلُوكِ وَالتَّعْوِيقِ؟ ...

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[إبراهيم: ١٠]^(٢).

لَا تَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فَاقْتَضَتْ حِكْمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ ضَبَطَ الدِّينَ وَحِفْظَهُ: بِأَنْ نَصَبَ لِلنَّاسِ أُمَّةً مُجْتَمِعًا عَلَى عِلْمِهِمْ وَدِرَائَتِهِمْ وَبُلُوغِهِمْ الْغَايَةَ الْمَقْصُودَةَ فِي مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ بِالْأَحْكَامِ وَالْفِتْوَى، مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْحَدِيثِ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥).

(٢) «الْمَحْجَّةُ فِي سَبْرِ الدَّلِيلَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/٤٤٦).

فَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ يُعْوَلُونَ فِي الْفِتَاوَى عَلَيْهِمْ، وَيَرْجِعُونَ فِي مَعْرِفَةِ
الْأَحْكَامِ إِلَيْهِمْ.

وَأَقَامَ اللَّهُ مَنْ يَضْبِطُ مَذَاهِبَهُمْ وَيُحَرِّرُ قَوَاعِدَهُمْ، حَتَّى ضَبِطَ مَذَهَبُ كُلِّ
إِمَامٍ مِنْهُمْ، وَأَصُولُهُ، وَقَوَاعِدُهُ وَفُصُولُهُ، حَتَّى تَرُدَّ إِلَى ذَلِكَ الْأَحْكَامِ وَيُضْبِطَ
الْكَلَامَ فِي مَسَائِلِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ جُمْلَةِ عَوَائِدِهِ الْحَسَنَةِ
فِي حِفْظِ هَذَا الدِّينِ.

وَلَوْلَا ذَلِكَ: لَرَأَى النَّاسُ الْعَجَبَ الْعُجَابِ، مِنْ كُلِّ أَحْمَقٍ مُتَكَلِّفٍ مُعْجَبٍ
بِرَأْيِهِ، جَرِيءٍ عَلَى النَّاسِ وَثَابٍ.

فَيَدَّعِي هَذَا أَنَّهُ إِمَامٌ الْأَيْمَّةَ، وَيَدَّعِي هَذَا أَنَّهُ هَادِي الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي
يَنْبَغِي الرُّجُوعُ دُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَالتَّعْوِيلُ دُونَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ.

وَلَكِنْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمِنَّتِهِ انْسَدَّ هَذَا الْبَابُ الَّذِي خَطَرُهُ عَظِيمٌ وَأَمْرُهُ جَسِيمٌ،
وَأَنْحَسَمَتْ هَذِهِ الْمَفَاسِدُ الْعَظِيمَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ
وَجَمِيلِ عَوَائِدِهِ وَعَوَاطِفِهِ الْحَمِيمَةِ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَزَلْ يَظْهَرُ مَنْ يَدَّعِي بُلُوغَ
دَرَجَةِ الاجْتِهَادِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدٍ لِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَّةِ وَلَا
انْتِقَادِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَوِّغُ لَهُ ذَلِكَ؛ لِظُهُورِ صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ وَكُذِّبَ فِي دَعْوَاهِ.

وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَلَا يَسَعُهُ إِلَّا تَقْلِيدُ
أَوْلِيكَ الْأَيْمَّةِ، وَالِدُخُولِ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ سَائِرُ الْأُمَّةِ.

فَإِنْ قَالَ أَحَمَقُ مُتَكَلِّفٌ: كَيْفَ يُحْصِرُ النَّاسُ فِي أَقْوَالِ عُلَمَاءٍ مُتَعَيِّنِينَ
وَيُمنَعُ مِنَ الاجْتِهَادِ، أَوْ مِنْ تَقْلِيدِ غَيْرِ أَوْلِيكَ مِنْ أَيْمَّةِ الدِّينِ؟!!

قِيلَ لَهُ: كَمَا جَمَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ النَّاسَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ حُرُوفِ
الْقُرْآنِ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِغَيْرِهِ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ؛ لِمَا رَأَوْا أَنَّ الْمَصْلَحَةَ
لَا تَتِمُّ إِلَّا بِذَلِكَ، وَأَنَّ النَّاسَ إِذَا تَرَكُوا يَقْرَءُونَ عَلَى حُرُوفٍ شَتَّى وَقَعُوا فِي
أَعْظَمِ الْمَهَالِكِ.

فَكَذَلِكَ مَسَائِلُ الْأَحْكَامِ وَفَنَاوَى الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، لَوْ لَمْ تُضَبِّطْ النَّاسُ
فِيهَا بِأَقْوَالِ أَيْمَّةٍ مَعْدُودِينَ؛ لِأَدَى ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ الدِّينِ، وَأَنْ يُعَدَّ كُلُّ أَحَمَقٍ
مُتَكَلِّفٍ طَلَبَتِ الرِّيَاسَةَ نَفْسُهُ مِنْ زُمْرَةِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَأَنْ يَبْتَدِعَ مَقَالَةً يَنْسِبُهَا
إِلَى بَعْضِ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ فَرُبَّمَا كَانَ بِتَحْرِيفٍ يُحَرِّفُهُ عَلَيْهِمْ، كَمَا
وَقَعَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنْ بَعْضِ الظَّاهِرِيِّينَ، وَرُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ زَلَّةً مِنْ بَعْضِ
مَنْ سَلَفَ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَى تَرْكِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَلَا تَقْتَضِي الْمَصْلَحَةُ غَيْرَ مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ مِنْ جَمْعِ النَّاسِ عَلَى
مَذَاهِبِ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَّةِ الْمَشْهُورِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فَإِنْ قِيلَ: الْفَرْقُ بَيْنَ جَمْعِ النَّاسِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ
مِنْ أَحْرَفِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ جَمْعِهِمْ عَلَى أَقْوَالِ فُقَهَاءِ أَرْبَعَةِ، أَنَّ تِلْكَ الْحُرُوفَ

السَّبْعَةَ كَانَتْ يُقَالُ: مَعْنَاهَا وَاحِدٌ أَوْ مُتَقَارِبٌ، وَالْمَعْنَى حَاصِلٌ بِهَذَا الْحَرْفِ.
وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِ الْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَّفِقُوا عَلَى شَيْءٍ
وَيَكُونُ الْحَقُّ خَارِجًا عَنْهُمْ.

قِيلَ: هَذَا قَدْ مَنَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ هَذِهِ
الْأُمَّةَ عَلَى ضَلَالَةٍ^(١).

نصيحة في طريق طلب العلم

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَمَّا عِلْمُ الْإِسْلَامِ: فَكَانَ يُجِيبُ فِيهِ (أَيُّ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ) عَنْ
الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ مِمَّا لَمْ يَسْبِقْ فِيهَا كَلَامٌ؛ لِلْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، مَعَ نَهْيِهِ لِأَصْحَابِهِ
أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي مَسَائِلَ لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا إِمَامٌ.

وَإِنَّمَا كَانَ يُجِيبُ غَالِبًا عَمَّا سَبَقَ الْكَلَامُ فِيهِ، وَفِيمَا يُحْتَاجُ وَلَا بُدَّ لَوْ قُوعِهِ
وَمَعْرِفَةِ حُكْمِهِ.

فَأَمَّا مَا يُؤَلِّدُهُ الْفُقَهَاءُ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تَقَعُ أَوْ لَا تَكَادُ تَقَعُ إِلَّا نَادِرًا،
فَكَانَ يَنْهَى كَثِيرًا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ وَيُشْغِلُ عَمَّا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ
مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَرَى كَثْرَةَ الْخِصَامِ وَالْجِدَالِ، وَلَا تَوْسِعَةً لِقِيلٍ أَوْ لِقَالٍ
فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ.

(١) «الرَّدُّ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/٤٦٧).

إِنَّمَا يَرَى الْاِكْتِفَاءَ فِي ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ، وَيَحُثُّ عَلَى فَهْمِ مَعَانِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِطَالَةٍ لِلْقَوْلِ وَالْإِكْتَارِ.

وَلَمْ يَتْرُكْ تَوْسِعَةَ الْكَلَامِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَجْزًا وَلَا جَهْلًا، وَلَكِنْ وَرَعًا وَفَضْلًا وَاِكْتِفَاءً بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ فِيهَا كِفَايَةَ، وَاقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَبِالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ تَحْصُلُ الْهِدَايَةُ.

فَإِنَّ أَنْتَ قَبِلْتَ هَذِهِ النَّصِيحَةَ، وَسَلَكْتَ الطَّرِيقَةَ الصَّحِيحَةَ، فَلَتَكُنْ هِمَّتِكَ؛ حِفْظَ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ الْوُقُوفُ عَلَى مَعَانِيهَا بِمَا قَالَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَيْمَّتُهَا، ثُمَّ حِفْظَ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَفَتْوَاهِمَ وَكَلَامِ أَيْمَةِ الْأَمْصَارِ، وَمَعْرِفَةَ كَلَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَضَبْطَهُ بِحُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ، وَالْاجْتِهَادُ عَلَى فَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ.

وَأَنْتَ إِذَا بَلَغْتَ مِنْ هَذِهِ الْغَايَةِ: فَلَا تَظُنَّ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ بَلَغْتَ النِّهَايَةَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ طَالِبٌ مُتَعَلِّمٌ مِنْ جُمْلَةِ الطَّلَبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ.

وَلَوْ كُنْتَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ مَا عَرَفْتَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، مَا كُنْتَ حَيِّثُ مَعْدُودًا مِنْ جُمْلَةِ الطَّالِبِينَ، فَإِنَّ حَدَّثَكَ نَفْسُكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّكَ قَدْ انْتَهَيْتَ أَوْ وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ السَّلَفُ، فَبَشَّ مَا رَأَيْتَ.

وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَتْرَكَ حِفْظَ هَذِهِ الْعُلُومِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، وَضَبْطَ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ الْمَعْوَلِ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَشْتَغِلَ بِكَثْرَةِ الْخِصَامِ وَالْجِدَالِ، وَكَثْرَةِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَتَرْجِيحِ بَعْضِ الْأَقْوَالِ عَلَى بَعْضِ الْأَقْوَالِ مِمَّا اسْتَحْسَنَهُ عَقْلُكَ،

لَا تَعْرِفُ فِي الْحَقِيقَةِ مَنِ الْقَائِلَ لِنَلِكَ الْأَقْوَالِ، وَهَلْ هُوَ مِنَ السَّلَفِ الْمُعْتَبَرِ بِأَقْوَالِهِمْ، أَوْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْاِعْتِدَالِ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِغَيْرِ مَا قَالَهُ السَّلَفُ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ إِمَامُكَ، فَيَقُوتَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَتَضِيعَ أَيَّامُكَ.

فَإِنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ: إِنَّمَا هُوَ مَا ضُبِطَ فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ عَنِ الرَّسُولِ أَوْ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مَأْثُورٌ.. وَكَيْفَ يَصِحُّ لَكَ دَعْوَى الْاِئْتِسَابِ إِلَى إِمَامٍ، وَأَنْتَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ مُصِرٌّ، وَمِنْ عُلُومِهِ وَأَعْمَالِهِ وَطَرِيقَتِهِ تَقَرَّرُ؟!!

وَاعْلَمْ - وَفَقَكَ اللَّهُ - أَنَّكَ كُلَّمَا اشْتَغَلْتَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ، وَسَلَكْتَ السُّبُلَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَاسْتَعْمَلْتَ لِلْحَشِيَّةِ نَفْسَهَا الْمُرَاقِبَةَ، وَنَظَرْتَ فِي أَحْوَالِ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَيْمَّةِ بِإِدْمَانِ النَّظَرِ فِي أَحْوَالِهِمْ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ، أَزْدَدَتْ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِهِ عِلْمًا، وَأَزْدَدَتْ لِنَفْسِكَ احْتِقَارًا وَهَضْمًا، وَكَانَ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ شُغْلٌ شَاغِلٌ عَنْ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِمُخَالَفَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَا تَكُنْ حَاكِمًا عَلَى جَمِيعِ فِرَقِ الْمُؤْمِنِينَ، كَأَنَّكَ قَدْ أُوتِيَتْ عِلْمًا لَمْ يُؤْتَوْهُ، أَوْ وَصَلْتَ إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَصِلُوهُ.

فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِمَنْ سَلَفَ، وَعَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ نَقْصًا وَمِنَ السَّلَفِ كَمَالًا، وَلَمْ يَهْجُمْ عَلَى أَيْمَّةِ الدِّينِ وَلَا سَيِّمًا مِثْلَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَخُصُوصًا إِنْ كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَسِسِينَ.

وَإِنَّ أَنْتَ أَيْبَتَ النَّصِيحَةِ وَسَلَكْتَ طَرِيقَةَ الْجِدَالِ وَالْحِصَامِ، وَارْتَكَبْتَ مَا نُهِيتَ عَنْهُ مِنَ التَّشْدُقِ وَالتَّفْيْهُقِ وَشَقَشَقَةِ الْكَلَامِ، وَصَارَ شُغْلَكَ الرَّدُّ عَلَى

أئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّفْتِيشُ عَنْ عُيُوبِ أئِمَّةِ الدِّينِ: فَإِنَّكَ لَا تَزْدَادُ بِنَفْسِكَ إِلَّا عُجْبًا، وَلَا لِطَلَبِ الْعُلُوفِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا حُبًّا، وَمِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْدًا، وَعَنِ الْبَاطِلِ إِلَّا قُرْبًا، وَحِينَئِذٍ تَقُولُ: وَلِمَ لَا أَقُولُ وَأَنَا أَوْلَى مِنْ غَيْرِي بِالْقَوْلِ وَالِاخْتِيَارِ، وَمَنْ أَعْلَمَ مِنِّي وَمَنْ أَفْقَهُ مِنِّي؛ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ هَذَا يَقُولُهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ وَقُودُ النَّارِ.

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِحِ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِتَتَوَلَّ النَّصَائِحَ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

فَإِنَّ أُبَيْتَ إِلَّا الْإِصْرَارَ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّفْقُّهَ هُوَ نَقْلُ الْأَقْوَالِ، وَكَثْرَةُ الْبَحْثِ عَلَيْهَا وَالْجِدَالِ، وَأَنَّ مَنْ اتَّسَعَ فِي ذَلِكَ وَنَقَبَ عَنْ عُيُوبِ الْأئِمَّةِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ أَعْلَمَ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ قَلَّ كَلَامُهُ فِي هَذَا فَلَيْسَ هُنَالِكَ.

فَنَقُولُ لَكَ مِنْ هُنَا: اعْتَقَدَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ أَنَّ الْخَلْفَ أَعْلَمُ مِنَ السَّلْفِ؛ لِمَا امْتَأَزُوا بِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا لَكَانَ شَيْوُخُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ أَعْلَمُ مِنَ سَلْفِ الْأُمَّةِ وَأئِمَّتِهَا»^(١).

وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فَمَنْ تَحَقَّقَ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ فَوْقَ التُّرَابِ فَهُوَ تُرَابٌ، فَكَيْفَ يُقَدِّمُ عَلَى

(١) «الرَّدُّ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/٤٧٧).

طَاعَةَ شَيْءٍ مِنْ التُّرَابِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّ الأَرْبَابِ؟! أَمْ كَيْفَ يُرْضِي التُّرَابَ
بَسْخَطِ المَلِكِ الوَهَّابِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَاب!

وَقَدْ دَلَّ القُرْآنُ عَلَى هَذَا الأَصْلِ وَهُوَ تَفَرُّدُ الله - سُبْحَانَهُ - بِالْعَطَاءِ وَالمَنْعِ
فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ جَدًّا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا
يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] (١).

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ»

♦ قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ
الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

فَهَذِهِ الأَيَّةُ تُتَضَمَّنُ تَوْبِيخًا وَعِتَابًا لِمَنْ سَمِعَ هَذَا السَّمَاعَ، وَكَمْ يُحْدِثُ
لَهُ فِي قَلْبِهِ صَلاَحًا وَرِقَّةً وَخُشوعًا، فَإِنَّ هَذَا الكِتَابَ المَسْمُوعَ يَشْتَمِلُ عَلَى
نَهَايَةِ المَطْلُوبِ، وَغَايَةِ مَا تَصْلُحُ بِهِ القُلُوبُ، وَتَنْجَذِبُ بِهِ الأَرْوَاحُ المُعَلَّقَةُ
بِالمَحَلِّ الأَعْلَى إِلَى حَضْرَةِ المَحْجُوبِ، فَيَحْيِي بِذَلِكَ القَلْبُ بَعْدَ مَمَاتِهِ،
وَيَجْتَمِعُ بَعْدَ شَتَاتِهِ، وَتَزُولُ قَسْوَتُهُ بِتَدْبِيرِ خِطَابِهِ وَسَمَاعِ آيَاتِهِ، فَإِنَّ القُلُوبَ
إِذَا أَيَقَنْتْ بِعِظَمَةِ مَا سَمِعَتْ، وَاسْتَشْعَرَتْ شَرَفَ نِسْبَةِ هَذَا القَوْلِ إِلَى قَائِلِهِ،
أَذَعَنْتْ وَخَضَعَتْ.

فَإِذَا تَدَبَّرْتُ مَا اِحْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُرَادِ وَوَعَتُ، اُنْدَكْتُ مِنْ مَهَابَةِ اللَّهِ
وَإِجْلَالِهِ، وَخَشَعْتُ.

فَإِذَا هَطَلَ عَلَيْهَا وَابِلُ الْإِيمَانِ مِنْ سُحْبِ الْقُرْآنِ، أَخَذْتُ مَا وَسَعَتْ،
فَإِذَا بَدَّرَ فِيهَا الْقُرْآنُ مِنْ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ، وَسَقَاهُ مَاءَ الْإِيمَانِ، اُنْبَتَتْ مَا زَرَعْتُ:

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجٍ﴾ [الحج: ٥٠]، ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠]،

وَمَتَى فَقَدَتِ الْقُلُوبُ غِذَاءَهَا، وَكَانَتْ جَاهِلَةً بِهِ، طَلَبَتْ الْعَوْضَ مِنْ غَيْرِهِ،
فَتَغَذَّتْ بِهِ، فَازْدَادَ سَقَمُهَا بِفَقْدِهَا مَا يَنْفَعُهَا وَالتَّعَوُّضَ بِمَا يَضُرُّهَا.

فَإِذَا سَقَمَتْ مَالَتْ إِلَى مَا فِيهِ ضَرَرُهَا، وَلَمْ تَجِدْ طَعْمَ غِذَائِهَا، الَّذِي فِيهِ

نَفْعُهَا، فَتَعَوَّضَتْ عَنْ سَمَاعِ الْآيَاتِ، بِسَمَاعِ الْأَبْيَاتِ، وَعَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي

التَّنْزِيلِ، بِسَمَاعِ الْأَصْوَاتِ^(١).

مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمَتَى تَمَكَّنْتَ الْمَحَبَّةَ فِي الْقَلْبِ لَمْ تَبْعَثِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ

الرَّبِّ...

وَصَارَتِ النَّفْسُ حِينِيذٍ مُطْمَئِنَّةٍ بِإِرَادَةِ مَوْلَاهَا عَنْ مُرَادِهَا وَهَوَاهَا.

(١) «نُزْهُةُ الْأَسْمَاعِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢/ ٢٦٩)



يَا هَذَا، اعْبُدِ اللَّهَ لِمُرَادِهِ مِنْكَ لَا لِمُرَادِكَ مِنْهُ، فَمَنْ عَبَدَهُ لِمُرَادِهِ مِنْهُ فَهُوَ
مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ
عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَمَتَى قَوَيْتِ الْمَعْرِفَةَ وَالْمَحَبَّةَ لَمْ يَرِدْ
صَاحِبُهَا إِلَّا مَا يُرِيدُ مَوْلَاهُ»^(١).

الصدق في كلمة التوحيد

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَمْ يُحِبَّ سِوَاهُ، وَلَمْ يَرْجُ إِلَّا إِيَّاهُ،
وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ أَثَارِ
نَفْسِهِ وَهَوَاهُ.

وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْمُحِبَّ مُطَالِبٌ بِالْعِصْمَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ
مُطَالِبٌ كُلَّمَا زَلَّ أَنْ يَتَلَفَى تِلْكَ الْوَصْمَةَ»^(٢).

تحقيق التوحيد

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِخْوَانِي: اجْتَهِدُوا الْيَوْمَ فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَى اللَّهِ
سِوَاهُ، وَآخِرُ صَوَا عَلَى الْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا إِيَّاهُ»^(٣).

(١) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢/ ٣٧٦)

(٢) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢/ ٣٨١)

(٣) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢/ ٣٩٨)

«لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«إِذَا صُبِغَ أَنْعَمُ النَّاسِ - كَانِ فِي الدُّنْيَا - صَبْغَةً فِي الْعَذَابِ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ قَالَ: لَا يَا رَبَّ.

وَإِذَا صُبِغَ أَبْسُ النَّاسِ فِي النَّعِيمِ صَبْغَةً، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: هَلْ مَرَّ بِكَ بُؤْسٌ قَطُّ؟ قَالَ: لَا يَا رَبَّ...

لَا يَجِدُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَلَمِ نَصَبِ الدُّنْيَا شَيْئًا، بَلْ يَنْقَلِبُ رَاحَةً أَبَدًا. مَنْ طَمَعَ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَعَالِي؛ صَبَرَ عَلَى مُوَاصَلَةِ نَصَبِ النَّهَارِ بِسَهْرِ اللَّيَالِي.

مَنْ أَرَادَ غَدًا قُرْبَنَا؛ فَلْيَصْبِرِ الْيَوْمَ عَلَى أَلَمِ ضَرْبِنَا، فَمَا يَحْسُ بِأَلَمِ مَنْ صَدَقَ فِي حُبِّنَا.

لَأُبَدَّ مِنَ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارِ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ الْيَوْمَ مِنَ الْكَاذِبِ: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٣١].

الرَّاحَةُ لَا تَنَالُ بِالرَّاحَةِ...

مَرَاتِبُ الدُّنْيَا لَا تَنَالُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ فِي طَلَبِهَا وَالْمُجَاهَدَةِ، فَكَيْفَ مَنْ أَرَادَ مَقْعَدَ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ؟! ... مَا وَصَلُوا إِلَى الْمَنْزِلِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ السَّجْنِ، مَا نَالُوا لَذَّةَ الرَّاحَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ صَبَرُوا عَلَى الْمَشَقَّةِ»^(١).

(١) «غَايَةُ النِّفَعِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٤٢٩ / ٢)



ذم الخمر وأهله

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«أفليس من الغبن كل الغبن، تعجل شرب هذه الخبيثة المفسدة للعقل والدين، مع زمرة الفساق الأزدال والشياطين، وترك شرب الخمر المطهرة التي هي لذة للشاربين في حظيرة القدس، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين؟!»^(١).

رسالة إلى شارب الخمر

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«يا هذا، اعرف قدر لطفنا بك، وحفظنا لك، إنما نهيناك عن المعاصي صيانةً لك، وغيره عليك، لا لحاجتنا إلى امتناعك ولا بخلا بها عليك. لَمَا عَرَفْتَنَا بِالْعَقْلِ حَرَمْنَا عَلَيْكَ الْخَمْرَ لَا تَسْتُرْهُ، شَيْءٌ بِهِ عَرَفْتَنَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تُزِيلَهُ أَوْ تُعْطِيَهُ؟!...»

لَا كَانَ كَلَّمَا يَقْطَعُ الْمَعْرِفَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، لَا كَانَ كَلَّمَا يَحْجُبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.
يَا شَارِبَ الْخَمْرِ لَا تَعْقِلْ، يَكْفِيكَ سُكْرُ جَهْلِكَ! لَا تَجْمَعُ بَيْنَ حَطِيئَتَيْنِ.
يَا مَنْ بَاشَرَ بَعْضَ الْقَادُورَاتِ، اغْتَسَلَ مِنْهَا بِالْإِنَابَةِ وَقَدْ زَالَ الدَّرَنُ.

طَهَّرُوا دَرَنَ الْقُلُوبِ بِدَمْعِ الْعَيْونِ فَمَا يَنْفَعُهَا غَيْرُهَا.

يَا مَنْ قَدْ دَرَنَ قَلْبُهُ بِوَسَخِ الذُّنُوبِ، لَوْ اغْتَسَلَتْ بِمَاءِ الإِنَابَةِ لَطَهَّرَتْ!
لَوْ شَرِبْتَ مِنْ شَرَابِ التَّوْبَةِ لَوَجَدْتَهُ شَرَابًا طَهُورًا.

يَا أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ، يَا أَدْرَانَ العُيُونِ: ﴿هَذَا مُعْتَسَلٌ بِأَرْدٍ وَشَرَابٌ﴾، مَجَالِسُ
الذِّكْرِ لِلْمُذْنِبِينَ، شَرَابُ المَوَاعِظِ شَرَابُ المُحِيسِينَ، دِرْيَاقٌ ^(١). المُذْنِبِينَ،
﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾.

قَدْ أَدْرَنَا عَلَيْكُمْ اليَوْمَ شَرَابَ التَّشْوِيقِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ التَّخْوِيفِ، فَبِاللَّهِ لَا
يَقُمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَكُمْ مِنْ هَذَا المَجْلِسِ إِلَّا وَقَدْ أَنَابَ إِلَى الكَرِيمِ الوَهَّابِ.
أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَابِ مَنْ يَبْكِي، وَمِنْهُمْ مَنْ يَضْحَكُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْرَبُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَمَلَّقُ النَّاسَ وَيَتَعَلَّقُ بِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَثُورُ نَفْسُهُ فَلَا يَرْضَى إِلَّا
بِأَنْ يُطْلَقَ أَوْ يُضْرَبَ بِالسَّيْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنَامُ!؟

فَهَكَذَا شَرَابُ المَوَاعِظِ يَعْمَلُ فِي السَّامِعِينَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي عَلَى ذُنُوبِهِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَضْحَكُ لِنَيْلِ مَطْلُوبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَضْحَكُ فَرَحًا لِمَحْبُوبِهِ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَشَبَّثُ بِأَذْيَالِ الوَاصِلِينَ لَعَلَّهُ يُعَلِّقُ خِطَامَ رَاحِلَتِهِ عَلَى قِطَارِهِمْ، وَمِنْهُمْ
مَنْ لَا يَرْضَى حَتَّى يَبْتَ طَلَاقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا، أَوْ يَقْتُلَ هَوَى نَفْسِهِ بِسَيْفِ العِزْمِ
كَالمُعْرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَدْرِي كَالنَّائِمِ ^(٢).

(١) الدَّرِيَّاقُ، وَيُقَالُ: التَّرِيَّاقُ، وَمَعْنَاهُ: دَوَاءُ السَّمُومِ.

(٢) «دَمُّ الخَمْرِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الحَافِظِ ابْنِ رَجَبِ الحَنْبَلِيِّ» (٢/٤٤٤).



المواعظ وأثرها على القلوب

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ تَعْلِيمُ جَاهِلٍ، أَوْ إِيقَاطُ غَافِلٍ، مَا وَصَلَ الْمُسْتَقْبَلُ فِي نَوْمِ الْغَفْلَةِ بِأَفْضَلٍ مِنْ ضَرْبِهِ بِسَيَاطِ الْمَوْعِظَةِ لَيْسَتْ يَقِظُ.
الْمَوْاعِظُ كَالسِّيَاطِ تَقَعُ عَلَى نِيَاطِ الْقُلُوبِ فَمَنْ أَلَمَّتْهُ فَصَاحَ فَلَا جُنَاحَ،
وَمَنْ تَرَادَّ بِهَا أَلَمَتْهُ فَمَاتَ فَدَمُهُ مُبَاحٌ»^(١).

«استجيبوا لله»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كَمْ دَعَاكَ إِلَى بَابِهِ فَمَا أَجَبْتَ وَلَا لَبَّيْتُ، كَمْ اسْتَدْعَاكَ إِلَى جَنَابِهِ فَفَعَدَّتْ
وَأَبَيْتَ، كَمْ عَرَضَتْ عَلَيْكَ وَاجِبَاتُهُ فَتَكَاسَلْتَ وَتَوَانَيْتَ، وَزُجِرْتَ عَنْ مَنْهِيَّاتِهِ
فَمَا انزَجِرْتَ وَتَمَادَيْتَ، كَمْ سَمِعْتَ دَاعِيَ الْحَقِّ فَتَصَامَمْتَ، وَكَمْ رَأَيْتَ آيَاتِهِ
فِي الْخَلْقِ فَتَعَامَيْتَ.

فِيَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ وَقَلْبُهُ مَيِّتٌ،

يَا لَيْتَكَ أَجَبْتَ مُنَادِيَ الْهُدَى حِينَ نَادَاكَ.. يَا لَيْتَ...

يَا هَذَا، لَوْ دَعَاكَ مَخْلُوقٌ تَرَجُّوْ خَيْرُهُ لَأَسْرَعْتَ إِجَابَتَهُ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ

(١) «شَرْحُ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢/٤٨٦).



لَكَ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَكَيْفَ لَا تَسَارِعُ إِجَابَةً مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ بِيَدَيْهِ،
وَلَا يَدْعُوكَ إِلَّا لِخَيْرٍ يُوصِلُهُ إِلَيْكَ؟!» (١).

رِسَالَةٌ عِتَابٍ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«يَا مَنْ إِذَا تَشَبَّهَ بِالصَّالِحِينَ فَهُوَ عَنْهُمْ مُتَبَاعِدٌ، وَإِذَا تَشَبَّهَ بِالْمُذْنِبِينَ فَحَالُهُ
وَحَالُهُمْ وَاحِدٌ، يَا مَنْ يَسْمَعُ مَا تَلِينُ بِهِ الْجَوَامِدُ وَطَرْفُهُ جَامِدٌ، وَقَلْبُهُ أَقْسَى
مِنَ الْجَلَامِدِ، يَا مَنْ بَرَدَ قَلْبُهُ عَنِ التَّقْوَى، كَيْفَ يَنْفَعُ الضَّرْبُ فِي حَدِيدٍ
بَارِدٍ؟» (٢).

بَيْنَ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَحَيَاةِ الْقُلُوبِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فَإِنَّ الْمَاءَ وَالنُّورَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ، وَلَا يَعِيشُ حَيَوَانٌ إِلَّا حَيْثُ هُمَا
مَوْجُودَانِ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَهُمَا لِلْقُلُوبِ كَالْمَاءِ
وَالنُّورِ، فَإِذَا فَقَدَهُمَا الْقَلْبُ فَقَدَ مَاتَ» (٣).

(١) «شَرْحُ حَدِيثِ لَبَّيْكَ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٩٠ / ٤).

(٢) «الْحِكْمُ الْجَدِيدَةُ بِالْإِذَاعَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢٣٤ / ٤).

(٣) «مُقَدِّمَةٌ تُشْتَمِلُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَانَ دِينُهُمُ الْإِسْلَامَ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ

الْحَنْبَلِيِّ» (٣٥٢ / ٤).





رَائِحَةُ الإِخْلَاصِ

♦ قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«رَائِحَةُ الإِخْلَاصِ كَرَائِحَةِ البُخُورِ الخَالِصِ، كُلَّمَا قَوِيَ سِتْرُهُ بِالثِّيَابِ، فَاحٌ وَعَبَقَ بِهَا، وَرَائِحَةُ الرِّيَاءِ كَدَخَانِ الحَطَبِ، يَعْلُو إِلَى الجَوِّ ثُمَّ يَضْمَحِلُّ وَتَبَقَى رَائِحَتُهُ الكَرِيهَةَ، كُلَّمَا بَلِيَتْ أَجْسَامُ الصَّادِقِينَ فِي التُّرَابِ فَاحَتْ رَائِحَةُ صِدْقِهِمْ فَاسْتَشَقَّهَا الخَلْقُ.

كَمِ اجْتِهَادِ المُخْلِصُونَ فِي إِخْفَاءِ أحوَالِهِمْ عَنِ الخَلْقِ، وَرِيحِ الصِّدْقِ تَنَمُّ عَلَيْهِمْ، كَمِ يَقُولُ لِسَانُ الصَّادِقِ: لَا لَا، وَحَالُهُ يُنَادِي: نَعَمْ نَعَمْ، وَلِسَانُ الكَاذِبِ يَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ، وَحَالُهُ يُنَادِي عَلَيْهِ: لَا لَا.

كَمِ اجْتِهَادِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى أَنْ لَا يُذْكَرَ، وَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُشَهَّرَهُ وَيَقْرَنَ الإِمَامَةَ بِاسْمِهِ عَلَى ألسِنَةِ الخَلْقِ شَاءَ وَآوَأَبْوَاءَ، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ مَنْ يُعْطِي الأَمْوَالَ لِمَنْ يُنَادِي بِاسْمِهِ فِي الأَسْوَاقِ لِيُشْتَهَرَ، فَمَا ذُكِرَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَا عُرِفَ.

خُمُولُ المُحِبِّينَ لِمَوْلَاهُمْ شُهْرَةً، وَذُلُّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ عِزٌّ، وَفُقْرُهُمْ إِلَيْهِ الغِنَى الأَكْبَرُ»^(١).

فِتْنَتَا الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَلَمَّا دَخَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَصْبَحُوا مُتَقَاتِعِينَ مُتَبَاغِضِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ مُتَوَاصِلِينَ، فَإِنَّ فِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ عَمَّتْ غَالِبَ الْخَلْقِ، فَافْتَنُّوا بِالْدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا، وَصَارَتْ غَايَةَ قَصْدِهِمْ، لَهَا يَطْلُبُونَ، وَبِهَا يَرْضُونَ، وَلَهَا يَغْضَبُونَ، وَلَهَا يُوَالُونَ، وَعَلَيْهَا يُعَادُونَ، فَقَطَّعُوا لِذَلِكَ أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَارْتَكَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ فَبَسَبَبِهَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، وَصَارُوا شِيَعًا، وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَصَارُوا أَعْدَاءً وَفِرْقًا وَأَحْزَابًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا؛ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ إِلَّا الْفِرْقَةُ الْوَاحِدَةُ النَّاجِيَّةُ، وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

وَهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْغُرَبَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَهُمْ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَهُمْ النَّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ؛ لِأَنَّهُمْ قُلُوبًا، فَلَا يُوجَدُ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانِ، وَقَدْ لَا يُوجَدُ فِي بَعْضِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣١١)، وَمُسْلِمٌ (١٩٢٠).

القبائل منهم أحد، كما كان الداخلون إلى الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسّر الأئمة هذا الحديث»^(١).

حقيقة التقوى

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«وَيَدْخُلُ فِي التَّقْوَى الْكَامِلَةِ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَرُبَّمَا دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِعْلُ الْمَنْدُوبَاتِ، وَتَرْكُ الْمَكْرُوهَاتِ، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَتَىٰ لَهُمُ الْمَوْلَاتُ فِي مَوَالِيهِمْ وَالَّذِينَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢) وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا الْآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ [البقرة: ١ - ٤]»^(٣).

العلم بالله تعالى

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«الْمُحِبُّ اسْمٌ مَحْبُوبٌ لَا يَغِيبُ عَنْ قَلْبِهِ، فَلَوْ كَلَّفَ أَنْ يَنْسَى تَذَكُّرَهُ لَمَا قَدَرَ، وَلَوْ كَلَّفَ أَنْ يَكْفَّ عَنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِهِ لَمَا صَبَرَ.

كَيْفَ يَنْسَى الْمُحِبُّ ذِكْرَ حَبِيبٍ اسْمُهُ فِي فُؤَادِهِ مَكْتُوبٌ كَانَ بِلَالٍ كُلَّمَا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي الرَّمْضَاءِ عَلَى التَّوْحِيدِ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فَإِذَا قَالُوا لَهُ قُلْ: اللَّاتِ وَالْعُزَّى، قَالَ: لَا أَحْسِنُهُ.

(١) «كشف الكربة»، «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (١٦/٥).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٩٦).

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ
كُلَّمَا قَوِيَتْ الْمَعْرِفَةُ، صَارَ الذِّكْرُ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الذَّاكِرِ مِنْ غَيْرِ كُفْلَةٍ...
ذِكْرُ الْمُحِبِّينَ عَلَى خِلَافِ ذِكْرِ الْغَافِلِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٢٠].

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلِلَّةِ الْقَطْرِ
قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَأَرْوَاحُ الْمُشْتَاكِينَ لَا تَسْكُنُ إِلَّا
بِرُؤْيَيْهِ، قَالَ ذُو النُّونِ: مَا طَابَتْ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا طَابَتْ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ،
وَلَا طَابَتْ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَيْهِ»^(١).

مِنْ مَعَايِبِ الدُّنْيَا

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَمَا عَيْبَتِ الدُّنْيَا بِأَكْثَرِ مِنْ ذِكْرِ فَنَائِهَا وَتَقَلُّبِ أَحْوَالِهَا، وَهُوَ أَدَلُّ دَلِيلٍ
عَلَى انْقِضَائِهَا وَزَوَالِهَا، فَتَبَدَّلَ صِحَّتُهَا بِالسُّقْمِ، وَوُجُودُهَا بِالْعَدَمِ، وَشَبِيبَتُهَا
بِالْهَرَمِ، وَنَعِيمُهَا بِالْبُؤْسِ، وَحَيَاتُهَا بِالْمَوْتِ، فَتَفَارِقُ الْأَجْسَامُ النُّفُوسَ،
وَعِمَارَتُهَا بِالْخَرَابِ، وَاجْتِمَاعُهَا بِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ، وَكُلُّ مَا فَوْقَ التُّرَابِ
تُرَابٌ»^(٢).

(١) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (ص ١٢٩).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٩).



«تلك الدار الآخرة»

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي **رحمة الله**:

«ومن عرف الآخرة وعظمتها رغب فيها:

عباد الله: هلموا إلى دارٍ لا يموت سُكَّانُهَا، ولا يخرب بُنيانُهَا، ولا يهرمُ شَبَّانُهَا، ولا يتغير حُسْنُهَا وإِحْسَانُهَا، هواؤها النَّسيم، وماؤها التَّسْنِيم، يتقلب أهلها في رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ كُلِّ حِينٍ: ﴿دَعْوَلَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]»^(١).

أهل الليل

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي **رحمة الله**:

«الليل منهل يرده أهل الإرادة كلُّهم وَيَخْتَلِفُونَ فِيمَا يَرِدُونَ وَيُرِيدُونَ: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ فالْمُحِبُّ يَتَنَعَّمُ بِمُنَاجَاةِ مَحْبُوبِهِ، وَالخَائِفُ يَتَضَرَّعُ لِطَلَبِ العَفْوِ وَيَبْكِي عَلَى ذُنُوبِهِ، وَالرَّاجِي يَلْحُ فِي سُؤَالِ مَطْلُوبِهِ، وَالغَافِلُ الْمَسْكِينُ - أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَهُ - فِي حِرْمَانِهِ وَفَوَاتِ نَصِيهِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(٢)...

(١) «لطائف المعارف» (ص ٦٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١١٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١١٥٩).

يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَأَنْقَلَبَ، يَا مَنْ كَانَ لَهُ وَقْتُ مَعَ اللَّهِ فَذَهَبَ، قِيَامُ
السَّحْرِ يَسْتَوْحِشُ لَكَ، صِيَامُ النَّهَارِ يُسَائِلُ عَنْكَ، كَيْالِي الْوِصَالِ تُعَاتِبُكَ عَلَيَّ
الْهَجْرُ»^(١).

الْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«أَرْضُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ قِيَعَانُ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لَهَا عُمَرَانُ، بِهَا تُبْنَى
التُّصُورُ وَتُغْرَسُ أَرْضُ الْجَنَانِ، فَإِذَا تَكَامَلَ الْغِرَاسُ وَالْبُنْيَانُ انْتَقَلَ إِلَيْهِ
السُّكَّانُ...

الْعَامِلُونَ الْيَوْمَ يُسْلِفُونَ رُؤُوسَ أَمْوَالِ الْأَعْمَالِ فِيمَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ
الْأَعْيُنُ، إِلَى أَجْلِ يَوْمِ الْمَزِيدِ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجْلُ دَخَلُوا السُّوقَ
فَحَمَلُوا مِنْهُ مَا شَاءُوا بِغَيْرِ نَقْدٍ تَمَنٍّ، عَلَى مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ تَعْجِيلِ رَأْسِ مَالِ
السَّلَفِ، لَكِنْ بِغَيْرِ مَكْيَالٍ وَلَا مِيزَانَ.

فَيَا مَنْ عَزَمَ أَنْ يُسْلِفَ الْيَوْمَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، عَجِّلْ بِقَبْضِ رَأْسِ الْمَالِ،
فَإِنَّ تَأْخِيرَ التَّقْبِيزِ يُفْسِدُ الْعَقْدَ...

كَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ فِي إِهْبَاطِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، لَوْلَا نُزُولُهُ لَمَّا
ظَهَرَ جِهَادُ الْمُجَاهِدِينَ، وَاجْتِهَادُ الْعَابِدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَا صَعَدَتْ زَفَرَاتُ
أَنْفَاسِ التَّائِبِينَ، وَلَا نَزَلَتْ قَطْرَاتُ دُمُوعِ الْمُذْنِبِينَ.

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٨٨).



يَا آدَمُ إِنْ كُنْتَ أَهْبَطْتَ مِنْ دَارِ الْقُرْبِ: ﴿فِيَّ قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، إِنْ كَانَ حَصَلَ لَكَ بِالْإِخْرَاجِ مِنَ الْجَنَّةِ كَسْرٌ، فَأَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي، أَيْنَ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ، زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ رَبَّمَا يَشُوبُهُ الْإِفْتِحَارُ، وَأَيْنَ الْمُذْنِبِينَ يَزِينُهُ الْإِنْكَسَارُ، ﴿لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبِ اللَّهِ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ﴾^(١).

سُبْحَانَ مَنْ إِذَا لَطَفَ بِعَبْدِهِ فِي الْمَحَنِ قَلَبَهَا مَنَحًا، وَإِذَا خَذَلَ عَبْدًا لَمْ يَنْفَعُهُ كَثْرَةُ اجْتِهَادِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِ وَبَالًا، لُقِّنَ آدَمُ حُجَّتَهُ وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَا يُتَقَبَّلُ بِهِ تَوْبَتُهُ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

وَطُرِدَ إِنْ لَيْسَ بَعْدَ طُولِ خِدْمَتِهِ فَصَارَ عَمَلُهُ هَبَاءً مَثُورًا: ﴿قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾^(٢) ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣) [الحجر: ٣٤ - ٣٥]، إِذَا وَضَعَ عَدْلُهُ عَلَى عَبْدٍ لَمْ تَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِذَا بَسَطَ فَضْلَهُ عَلَى عَبْدٍ لَمْ تَبْقَ لَهُ سَيِّئَةٌ:

يُعْطِي وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ وَ هِبَاتُهُ لَيْسَتْ تُقَارِنُهَا الرُّشَا
لَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ عَلَى الْخَلَائِقِ بِالْعِلْمِ، وَكَانَ الْعِلْمُ لَا يَكْمُلُ بِدُونِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، وَالْجَنَّةُ لَيْسَتْ دَارَ عَمَلٍ وَمُجَاهِدَةٌ، إِنَّمَا دَارُ نَعِيمٍ وَمُشَاهَدَةٌ، قِيلَ لَهُ: يَا آدَمُ اهْبِطْ إِلَى رِبَاطِ الْجِهَادِ، وَصَابِرِ جُنُودِ الْهَوَى بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَادْرِفِ دُمُوعَ الْأَسْفِ عَلَى الْبُعَادِ، فَكَأَنَّكَ بِالْعَيْشِ الْمَاضِي وَقَدْ عَادَ عَلَى أَكْمَلِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُعْتَادِ^(٢).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٤٩).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ١١٠).



مِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«احذَرُوا الذُّنُوبَ، فَإِنَّهَا مَشْرُومَةٌ، عَوَاقِبُهَا ذَمِيمَةٌ، وَعُقُوبَاتُهَا أَلِيمَةٌ، وَالْقُلُوبُ الْمُحِبَّةُ لَهَا سَقِيمَةٌ، وَالنُّفُوسُ الْمَائِلَةُ إِلَيْهَا غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ، وَالسَّلَامَةُ مِنْهَا غَنِيمَةٌ، وَالْعَافِيَةُ مِنْهَا مَحْمُودَةٌ، وَالْبَلِيَّةُ بِهَا، لَا سِيَّمَا بَعْدَ نَزُولِ الشَّيْبِ، دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ...»

يَا مَنْ ضَاعَ قَلْبُهُ أَنْشُدْهُ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ، عَسَى أَنْ تَجِدَهُ، يَا مَنْ مَرِضَ قَلْبُهُ أَحْمَلُهُ إِلَى مَجْلِسِ الذِّكْرِ، لَعَلَّهُ أَنْ يُعَافَى.

مَجَالِسُ الذِّكْرِ مَارِسَتَانُ^(١) الذُّنُوبِ، تُدَاوَى فِيهَا أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ، كَمَا تُدَاوَى أَمْرَاضُ الْأَبْدَانِ فِي مَارِسَتَانِ الدُّنْيَا، وَنُزْهَةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَنْزَهُ فِيهِ بِسْمَاعِ كَلَامِ الْحِكْمَةِ، كَمَا تَنْزَهُ أَبْصَارُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي رِيَاضِهَا وَبَسَاتِينِهَا.

مَجْلِسُنَا هَذَا حَضْرَةٌ فِي رَوْضَةِ الْخُشُوعِ؛ طَعَامُنَا فِيهِ الْجُوعُ، وَشَرَابُنَا فِيهِ الدُّمُوعُ، وَتَقْلُنَا هَذَا الْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ، نُدَاوِي فِيهِ أَمْرَاضًا أَعْيَتْ جَالِينُوسَ^(٢) وَيَخْتِيشُوعَ^(٣)، نَسْقِي فِيهِ دِرْيَاقَ الذُّنُوبِ وَفَارُوقَ الْمَعَاصِي، فَمَنْ شَرِبَ لَمْ

(١) البيمارستان: كلمة فارسيّة مركّبة من «بیمار» بمعنى مريض، و«ستان» بمعنى مكان أو محلّ، وتقابل

كلمة مستشفى. وترد مختصرة فيقال «مارستان» «الألفاظ الفارسيّة المعرّبة» (ص ٣٣)

(٢) جالينوس: طبيب يوناني مات نحو ٢٠١ قبل الميلاد، له اكتشافات مهمة في التشريح، أخذ عنه أطباء العرب.

(٣) اشتهر بهذا الاسم عدد من الأطباء من أصل سرياني، منهم بختيشوع بن جرجس، مات نحو



يَكُنْ لَهُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ رُجُوعٌ.

كَمْ أَفَاقَ فِيهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ مَضْرُوعٌ، وَبِرِيءٍ فِيهِ مِنَ الْهَوَى مَلْسُوعٌ، وَوَصَلَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ مَقْطُوعٌ، مَا عَيْبُهُ إِلَّا أَنْ الطَّيِّبَ الَّذِي لَهُ لَوْ كَانَ يَسْتَعْمِلُ مَا يَصِفُ لِلنَّاسِ لَكَانَ إِلَى قَوْلِهِ الْمَرْجُوعُ.

يَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ إِنْ نَجَا السَّامِعُ وَهَلَكَ الْمَسْمُوعُ! يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِنْ وَصَلَ التَّابِعُ وَانْقَطَعَ الْمَتَّبِعُ! (١).

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لَمَّا جَلَى الرَّسُولُ ﷺ عُرُوسَ الْإِسْلَامِ وَأَبْرَزَهَا لِلْبَصَائِرِ مِنْ خِدْرِهَا أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ ثَمَالَهُ كُلَّهُ نِثَارًا لِهَذَا الْعُرُوسِ، فَأَخْرَجَ عُمَرُ ثَ النِّصْفَ مُوَافَقَةً لَهُ، فَقَامَ عُثْمَانُ ثَبُولِيْمَةَ الْعُرْسِ فَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَعَلِمَ عَلِيٌّ أَنَّ الدُّنْيَا ضَرَّةٌ هَذِهِ الْعُرُوسِ، وَأَنْهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ فَبَتَّ طَلَاقَهَا ثَلَاثًا.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّنَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا هَذِهِ النُّعْمَةَ، وَأَعْطَانَا هَذِهِ الْفَضَائِلَ الْجَمَّةَ، فَقَالَ لَنَا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مِنْ أَيْنَ فِي الْأَمَمِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَوْ عُمَرَ الَّذِي مَا سَلَكَ طَرِيقًا



إِلَّا هَرَبَ الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، أَوْ عُثْمَانَ الصَّابِرِ عَلَى مُرِّ الصُّيْقِ، أَوْ عَلِيٍّ بِحَرِّ الْعِلْمِ الْعَمِيقِ، أَوْ حَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ؟

أَفِيهِمْ مِثْلُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ الْقَرِينَيْنِ، أَوْ مِثْلُ سَعْدٍ وَسَعِيدٍ، هَيْهَاتَ مِنْ أَيْنَ؟ أَوْ مِثْلُ ابْنِ عَوْفٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَمَنْ مِثْلُ الْاِثْنَيْنِ، إِنْ شَبَّهْتُمْ بِهِمْ فَقَدْ أَبْعَدْتُمْ الْقِيَاسَ.

مِنْ أَيْنَ فِي زُهَادِ الْأُمَمِ مِثْلُ أُوَيْسٍ أَوْ فِي عِبَادِهِمْ مِثْلُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ أَوْ فِي خَائِفِهِمْ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟! هَيْهَاتَ! لَيْسَ ضَوْءُ الشَّمْسِ كَالْمِقْبَاسِ.

أَفِي عُلَمَائِهِمْ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ السَّيِّدِ الْمَسَالِكِ، كَيْفَ تَمَدَّحُهُ وَهُوَ أَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ؟ مَا أَحْسَنَ بُنْيَانَهُ وَالْأَسَاسَ!

أَنْتُمْ أَعْلَى مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَأَنْبَلُ، أَوْ ابْنِ سَيْرِينَ الَّذِي بِالْوَرَعِ تَبَتَّلَ، أَوْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ الَّذِي بِالْخَوْفِ وَالْعِلْمِ تَسَرَّبَلَ، أَوْ مِثْلُ أَحْمَدَ الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَسَبَلَ، تَاللهَ مَا فِي الْأُمَمِ مِثْلُ ابْنِ حَنْبَلٍ، أَرْفَعَ صَوْتَكَ بِهَذَا وَلَا بَأْسَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١).

يَا مَعْرُورًا بِطُولِ الْأَمَلِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«إِخْوَانِي: اجْتَنِبُوا الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْرُمُ الْعَبْدَ مَغْفِرَةَ مَوْلَاهُ الْعَفَّارِ، فِي

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ١٦٤).

مَوَاسِمَ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، أَمَّا الشُّرْكُ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَأَمَّا الْقَتْلُ فَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فِي النَّارِ، وَأَمَّا الزُّنَا فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ الْجَبَّارِ، الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَإِمَاؤُهُ وَاللَّهُ يَغَارُ، لَا أَحَدَ أَعْيُرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزِنِي أُمَّتُهُ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَأَمَرَ بِغَضِّ الْأَبْصَارِ، وَأَمَّا الشَّخْنَاءُ فَيَا مَنْ أَضْمَرَ لِأَخِيهِ الشُّوَاءَ وَقَصَدَ لَهُ الْإِضْرَارَ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

يَا مَغْرُورًا بِطُولِ الْأَمَلِ، يَا مَسْرُورًا بِسُوءِ الْعَمَلِ، كُنْ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى وَجَلٍ، فَمَا تَدْرِي مَتَى يَهْجُمُ الْأَجَلُ... كَمْ مِمَّنْ رَاحَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا أَوْ غَدَا أَصْبَحَ مِنْ سُكَّانِ الْقُبُورِ غَدَا»^(١).

كَمْ سَلَبَتِ الْمَعَاصِي مِنْ نَعْمٍ، وَجَلَبَتِ مِنْ نَقْمٍ!

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا حَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرِهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، فَصَارَ مِنَ الرَّاشِدِينَ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ شَرًّا خَلَى بَيْنَهُ وَيِّنَ نَفْسِهِ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ.

(١) «لطائف المعارف» (ص ٢٥١).

الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الْمَعَاصِي، فَكَمْ سَلَبَتْ مِنْ نَعْمٍ، وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِقَمٍ،
وَكَمَّ خَرَبَتْ مِنْ دِيَارٍ، وَكَمَّ أَخَلَّتْ دِيَارًا مِنْ أَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ دِيَارٌ، كَمْ
أَخَذَتْ مِنَ الْعُصَاةِ بِالْثَّارِ كَمْ مَحَتْ لَهُمْ مِنْ آثَارٍ...

أَيْنَ حَالٌ هُوَ لِأَيِّ الْحَمَقَى مِنْ قَوْمٍ كَانَ دَهْرُهُمْ كُلُّهُ رَمَضَانَ: لَيْلُهُمْ قِيَامٌ
وَنَهَارُهُمْ صِيَامٌ... مَنْ صَامَ الْيَوْمَ عَنْ شَهْوَاتِهِ، أَفْطَرَ عَلَيْهَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمَنْ
تَعَجَّلَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ، عُوقِبَ بِحُرْمَانِهِ فِي الْآخِرَةِ وَفَوَاتِهِ، وَشَاهِدُ
ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبُ طَبِيبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] الآية،
وقول النبي ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»^(١)، وَ«مَنْ
لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»^(٢)»^(٣).

مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْجَنَانِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمُذْنِبُ بِغَلْقِ
أَبْوَابِ النَّيْرَانِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْعَاقِلُ بِوَقْتِ يُغْلُ فِيهِ الشَّيْطَانُ؟ مِنْ أَيْنَ يُشْبَهُ
هَذَا الزَّمَانُ زَمَانًا؟...

مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ، وَمَنْ حُرِمَ خَيْرُهُ فَهُوَ الْمَحْرُومُ، وَمَنْ
لَمْ يَتَزَوَّدْ لِمَعَادِهِ فِيهِ فَهُوَ مَلُومٌ...

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥٧٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٠٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٨٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٧٣).

(٣) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٢٦٣).





يَا مَنْ طَالَتْ غَيْبُهُ عَنَّا، قَدْ قَرَبْتَ أَيَّامَ الْمُصَالِحَةِ! يَا مَنْ دَامَتْ خَسَارَتُهُ
قَدْ أَقْبَلْتَ أَيَّامَ التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ!

مَنْ لَمْ يَرْبِحْ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَرْبِحُ؟! مَنْ لَمْ يَقْرُبْ فِيهِ مِنْ
مَوْلَاهُ فَهُوَ عَلَى بُعْدِهِ لَا يَبْرَحُ.

كَمْ يُنَادَى: حَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ وَأَنْتَ خَاسِرٌ؟! كَمْ تُدْعَى إِلَى الصَّلَاحِ وَأَنْتَ
عَلَى الْفَسَادِ مُثَابِرٌ؟! كَمْ مِمَّنْ أَمَّلَ أَنْ يَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ فَخَانَهُ أَمْلُهُ، فَصَارَ
قَبْلَهُ إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ.

كَمْ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُؤَمِّلٍ غَدًا لَا يُدْرِكُهُ! إِنَّكُمْ لَوْ أَبْصَرْتُمْ
الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ، لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ»^(١).

إِنَّهُ رَمَضَانُ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لَمَّا سُلِّسَ الشَّيْطَانُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الشَّهَوَاتِ بِالصِّيَامِ،
انْعَزَلَ سُلْطَانُ الْهَوَى وَصَارَتْ الدَّوْلَةُ لِحَاكِمِ الْعَقْلِ بِالْعَدْلِ، فَلَمْ يَنْقَ
لِلْعَاصِي عُذْرٌ.

يَا عُيُومَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْقُلُوبِ تَقَشَّعِي، يَا شُمُوسَ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ اطْلَعِي،
يَا صَحَائِفَ أَعْمَالِ الصَّائِمِينَ ارْتَفِعِي، يَا قُلُوبَ الصَّائِمِينَ اخْشَعِي، يَا أَقْدَامَ
الْمُتَهَجِّدِينَ اسْجُدِي لِرَبِّكَ وَارْكَعِي، يَا عُيُونَ الْمُجْتَهِدِينَ لَا تَهْجَعِي، يَا

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٢٦٤).



ذُنُوبَ التَّائِبِينَ لَا تَرْجِعِي، يَا أَرْضَ الْهَوَى ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءَ النَّفُوسِ
أَقْلِعِي، يَا بُرُوقَ الْعُشَاقِ لِلْعُشَاقِ الْمَعِي، يَا خَوَاطِرَ الْعَارِفِينَ ارْتَجِعِي، يَا هِمَمَ
الْمُحِبِّينَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا تَقْنَعِي... وَيَا هِمَمَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرِعِي، فَطُوبَى لِمَنْ أَجَابَ
فَأَصَابَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ طُرِدَ عَنِ الْبَابِ وَمَا دُعِيَ..»^(١).

«فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«ابْنَ آدَمَ، لَوْ عَرَفْتَ قَدْرَ نَفْسِكَ مَا أَهْتَتَهَا بِالْمَعَاصِي، أَنْتَ الْمُخْتَارُ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَكَ أُعِدَّتْ الْجَنَّةُ؛ إِنْ اتَّقَيْتَ فَهِيَ أَقْطَاعُ الْمُتَّقِينَ، وَالدُّنْيَا
أَقْطَاعُ إِبْلِيسَ، فَهُوَ فِيهَا مِنَ الْمُنْظَرِينَ، فَكَيْفَ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْإِعْرَاضِ
عَنْ أَقْطَاعِكَ، وَمُرَاحِمَةِ إِبْلِيسَ عَلَى أَقْطَاعِهِ، وَأَنْ تَكُونَ غَدًا مَعَهُ فِي النَّارِ
مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِهِ؟ إِنَّمَا طَرَدْنَاهُ عَنِ السَّمَاءِ لِأَجْلِكَ، حَيْثُ تَكَبَّرَ عَنِ السُّجُودِ
لِأَيِّكَ، وَطَلَبْنَا قُرْبَكَ؛ لِتَكُونَ مِنْ خَاصَّتِنَا وَحِزْبِنَا، فَعَادَيْنَا وَوَالَيْتَ عَدُونَا:
﴿أَفْتَخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

[الكهف: ٥٠]...

أَبَشِرُوا يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: فَهَذِهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ
لِأَجْلِكُمْ قَدْ فُتِحَتْ، وَنَسَمَائُهَا عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَفَحَتْ، وَأَبْوَابُ
الْجَحِيمِ كُلُّهَا لِأَجْلِكُمْ مُغْلَقَةٌ، وَأَقْدَامُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ أَجْلِكُمْ مُوثَقَةٌ، فَفِي

(١) (لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ) (ص ٢٨٩).



هَذَا الشَّهْرِ يُؤْخَذُ مِنْ إِبْلِيسَ بِالثَّأْرِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْعَصَاةُ مِنْ أَسْرِهِ فَمَا يَبْقَى لَهُمْ عِنْدَهُ أَثَرٌ، كَانُوا فِرَاحَهُ قَدْ غَدَّاهُمْ بِالشَّهَوَاتِ فِي أَوْكَارِهِ، فَهَجَرُوا الْيَوْمَ تِلْكَ الْأَوْكَارَ، نَقَضُوا مَعَاقِلَ حُصُونِهِ بِمَعَاوِلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، خَرَجُوا مِنْ سِجْنِهِ إِلَى حِصْنِ التَّقْوَى وَالِإِيمَانِ فَأَمِنُوا مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَصَمُوا ظَهْرَهُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فَهُوَ يَشْكُو أَلَمَ الْإِنْكَسَارِ، فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْفَضْلِ يَحْزَنُ، فَنِي هَذَا الشَّهْرِ يَدْعُو بِالْوَيْلِ لِمَا يَرَى تَنْزَلَ الرَّحْمَةَ وَمَغْفِرَةَ الْأَوْزَارِ، غَلَبَ حِزْبُ الرَّحْمَنِ حِزْبَ الشَّيْطَانِ فَمَا بَقِيَ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا عَلَى الْكُفَّارِ، عَزَلَ سُلْطَانَ الْهَوَى وَصَارَتْ الدَّوْلَةُ لِسُلْطَانِ التَّقْوَى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]»^(١).

لَيْلَةُ الْقَدْرِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِلْعَابِدِينَ أَشْهَدِي، يَا أَقْدَامَ الْقَانِتِينَ ارْكَعِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي، يَا أَلْسِنَةَ السَّائِلِينَ جُدِّي فِي الْمَسْأَلَةِ وَاجْتَهِدِي...»

لَيْلَةُ الْقَدْرِ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ لَيْلَةُ الْحُظْوَةِ بِأَنْسِ مَوْلَاهُمْ وَقُرْبِهِ، وَإِنَّمَا يَفِرُّونَ مِنْ لِيَالِي الْبُعْدِ وَالْهَجْرِ...

يَا مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ فِي لَا شَيْءٍ، اسْتَدْرِكْ مَا فَاتَكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فَإِنَّهَا تُحْسَبُ بِالْعُمْرِ...

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٢٥).

إِخْوَانِي: الْمُعْوَلُ عَلَى الْقَبُولِ لَا عَلَى الْجِتْهَادِ، وَالْاِعْتِبَارُ بِبِرِّ الْقُلُوبِ لَا بِعَمَلِ الْأَبْدَانِ، رُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرَ، كَمَنْ مِنْ قَائِمٍ مَحْرُومٍ، وَكَمَنْ مِنْ نَائِمٍ مَرْحُومٍ، نَامَ وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ، وَهَذَا قَامَ وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ..

لَكِنَّ الْعَبْدَ مَأْمُورٌ بِالسَّعْيِ فِي اِكْتِسَابِ الْخَيْرَاتِ، وَالْاِعْتِبَادِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ؛ وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦٧﴾ فَسَنِيئَتُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٦٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْتَى ﴿٦٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٧٠﴾ فَسَنِيئَتُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧١﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠]، فَالْمُبَادَرَةُ إِلَى اِعْتِنَامِ الْعَمَلِ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ، فَعَسَى أَنْ يُسْتَدْرَكَ بِهِ مَا فَاتَ مِنْ ضَيَاعِ الْعُمْرِ»^(١).

«لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«الْمُحِبُّونَ تَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ اللَّيَالِي فَيَعُدُّونَهَا عَدًّا لِإِنْتِظَارِ لَيَالِي الْعَشْرِ فِي كُلِّ عَامٍ، فَإِذَا ظَفَرُوا بِهَا نَالُوا مَطْلُوبَهُمْ، وَخَدَمُوا مَحْبُوبَهُمْ..

رِيَاحُ هَذِهِ الْأَسْحَارِ تَحْمِلُ أُنِينَ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْفَاسَ الْمُحِبِّينَ، وَقَصَصُ النَّابِئِينَ ثُمَّ تَعُودُ بِرَدِّ الْجَوَابِ بِلَا كِتَابٍ..

فَإِذَا وَرَدَ بَرِيدُ السَّحَرِ يَحْمِلُ مُلْطَفَاتِ الْأَطَافِ لَمْ يَفْهَمْهَا غَيْرٌ مَنْ كُتِبَتْ إِلَيْهِ.

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٣٩).

يَا يَعْقُوبَ الْهَجْرَ، قَدْ هَبَّتْ رِيحُ يُوسُفَ الْوَصْلِ، فَلَوْ اسْتَشَقَّتْ لَعُدَّتْ
بَعْدَ الْعَمَى بَصِيرًا، وَلَوْ جَدَّتْ مَا كُنْتَ لِفَقْدِهِ فَقِيرًا..

لَوْ قَامَ الْمُذْنِبُونَ فِي هَذِهِ الْأَسْحَارِ عَلَى أَقْدَامِ الْإِنْكَسَارِ، وَرَفَعُوا قَصَصَ
الاعْتِدَارِ؛ مَضْمُونُهَا: ﴿بِتَأْيُهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْلَعَةٍ مُرَجَلَةٍ
فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يُوسُف: ٨٨]، لَبَرَزَ لَهُمُ التَّوَقُّعُ عَلَيْهَا:
﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]»^(١).

الحرمان في شهر رمضان

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَاذَا فَاتَ مَنْ فَاتَهُ خَيْرُ رَمَضَانَ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ أَدْرَكَهُ فِيهِ الْحَرْمَانُ؟
كَمْ بَيْنَ مَنْ حَظَّهُ فِيهِ الْقَبُولُ وَالْغُفْرَانُ، وَمَنْ كَانَ حَظُّهُ فِيهِ الْخَيْبَةُ وَالْخُسْرَانُ؟
رُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ، وَصَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»^(٢).

من رُدَّ في ليلة القدر

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَتَى يُقْبَلُ مَنْ رُدَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، مَتَى يَصْلُحُ مَنْ لَا يَصْلُحُ فِي رَمَضَانَ،
مَتَى يَصْلُحُ مَنْ كَانَ بِهِ فِيهِ مِنْ دَاءِ الْجَهَالَةِ وَالْعَفْلَةِ مَرَضَانَ، كُلُّ مَا لَا يُثْمِرُ
مِنَ الْأَشْجَارِ فِي أَوَانِ الثَّمَارِ؛ فَإِنَّهُ يُقَطَعُ ثُمَّ يُوقَدُ فِي النَّارِ.

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٦١).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٧٠).

مَنْ فَرَّطَ فِي الزَّرْعِ فِي وَقْتِ الْبَذَارِ لَمْ يَحْصِدْ يَوْمَ الْحَصَادِ غَيْرَ النَّدَمِ
وَ الْخَسَارِ»^(١).

مِنْ مَعَانِي الْعِيدِ

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَأِنَّمَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عِيدًا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُعْتَقُ فِيهِ أَهْلُ
الْكِبَائِرِ مِنَ الصَّائِمِينَ مِنَ النَّارِ، فَيَلْتَحِقُ فِيهِ الْمُذْنِبُونَ بِالْأَبْرَارِ، كَمَا أَنَّ يَوْمَ
التَّحْرِ هُوَ الْعِيدُ الْأَكْبَرُ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُرَى فِي يَوْمٍ
مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْهُ، فَمَنْ أُعْتِقَ مِنَ النَّارِ فِي الْيَوْمَيْنِ فَلَهُ يَوْمٌ
عِيدٌ، وَمَنْ فَاتَهُ الْعِتْقُ فِي الْيَوْمَيْنِ فَلَهُ يَوْمٌ وَعِيدٌ»^(٢).

أَيُّهَا الْعَاصِي لَا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فَيَا أَرْبَابَ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْكَرِيمَةِ،
فَمَا مِنْهَا عَوْضٌ وَلَا لَهَا قِيمَةٌ، فَمَنْ يَعْتَقُ فِيهَا مِنَ النَّارِ فَقَدْ فَازَ بِالْجَائِزَةِ
الْعَظِيمَةِ وَالْمِنْحَةِ الْجَسِيمَةِ، يَا مَنْ أَعْتَقَهُ مَوْلَاهُ مِنَ النَّارِ إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ بَعْدَ
أَنْ صِرْتَ حُرًّا إِلَى رِقِّ الْأَوْزَارِ، أَيَّبِعِدُكَ مَوْلَاكَ مِنَ النَّارِ، وَتَتَقَرَّبُ مِنْهَا،
وَيُنْقِذُكَ مِنْهَا، وَأَنْتَ تُوَقِّعُ نَفْسَكَ فِيهَا وَلَا تَحِيدُ عَنْهَا...»

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٧١).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٧٣).

إِنْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْمُحْسِنِينَ فَالْمُسِيءُ لَا يَبْأَسُ مِنْهَا، وَإِنْ تَكُنِ الْمَغْفِرَةُ مَكْتُوبَةً لِلْمُتَّقِينَ فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ غَيْرٌ مَحْجُوبٌ عَنْهَا...
فِيهَا أَيُّهَا الْعَاصِي - وَكُنَّا ذَلِكَ - لَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسُوءِ أَعْمَالِكَ، فَكَمْ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ أَمْثَالِكَ، فَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَوْلَاكَ، وَتُبْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ هَالِكٌ»^(١).

أَنْفَعُ الْأَسْتِغْفَارِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَنْفَعُ الْأَسْتِغْفَارِ مَا قَارَنْتَهُ التَّوْبَةُ وَهِيَ حُلُّ عُقْدَةِ الْإِصْرَارِ، فَمَنْ اسْتَغْفَرَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مَعْقُودٌ، وَعَزْمُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَعَاصِي بَعْدَ الشَّهْرِ وَيَعُودُ، فَصَوْمُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ، وَبَابُ الْقَبُولِ عَنْهُ مَسْدُودٌ...

أَيْنَ مَنْ كَانَ إِذَا صَامَ صَانَ الصِّيَامَ، وَإِذَا قَامَ اسْتَقَامَ فِي الْقِيَامِ؟ أَحْسِنُوا الْإِسْلَامَ ثُمَّ ارْحَلُوا بِسَلَامٍ، مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ إِذَا صَامَ افْتَخَرَ بِصِيَامِهِ وَصَالَ، وَإِذَا قَامَ أُعْجِبَ بِقِيَامِهِ وَقَالَ: كَمْ بَيْنَ خَلِيٍّ وَشَجِيٍّ، وَوَاجِدٍ وَفَاقِدٍ، وَكَاتِمٍ وَمُبْدِيٍّ»^(٢).

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٧٤).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٧٨).

يَا شَهْرَ رَمَضَانَ تَرَفَّقْ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّمَامِ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَطَ فِيهِ فَلْيَخْتِمْهُ بِالْحُسْنَى، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ، فَاسْتَمْتِعُوا مِنْهُ مَا بَقِيَ مِنَ اللَّيَالِي الْيَسِيرَةِ وَالْأَيَّامِ، وَاسْتَوْدِعُوهُ عَمَلًا صَالِحًا يَشْهَدُ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَوَدِّعُوهُ عِنْدَ فِرَاقِهِ بِأَرْكَى تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ...

لَقَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ وَمَا أَطْعَمْتُمْ، وَكُتِبَتْ عَلَيْكُمْ فِيهِ آثَامُهُ وَمَا أَضَعْتُمْ، وَكَانَتْكُمْ بِالْمُشْمَرِينَ فِيهِ وَقَدْ وَصَلُوا وَانْقَطَعْتُمْ، أَتَرَى مَا هَذَا التَّوْبِيخُ لَكُمْ أَوْ مَا سَمِعْتُمْ؟!..

قُلُوبُ الْمُتَّقِينَ إِلَى هَذَا الشَّهْرِ تَحِنُّ، وَمِنْ أَلَمِ فِرَاقِهِ تَبِينُ...

كَيْفَ لَا تَجْرِي لِلْمُؤْمِنِ عَلَى فِرَاقِهِ دُمُوعٌ، وَهُوَ لَا يَدْرِي هَلْ بَقِيَ لَهُ فِي عُمْرِهِ إِلَيْهِ رُجُوعٌ... أَيْنَ حَرَقُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي نَهَارِهِ؟ أَيْنَ قَلْقُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أَسْحَارِهِ؟..

إِذَا كَانَ هَذَا جَزَعٌ مِنْ رَيْحٍ فِيهِ، فَكَيْفَ حَالٌ مَنْ خَسِرَ فِي أَيَّامِهِ وَلِيَالِيهِ؟ مَاذَا يَنْفَعُ الْمُفَرِّطَ فِيهِ بُكَاءُهُ، وَقَدْ عَظُمَتْ فِيهِ مُصِيبَتُهُ وَجَلَّ عَزَاؤُهُ؟ كَمْ نُصِحَ الْمَسْكِينُ فَمَا قَبِلَ النُّصْحَ، كَمْ دُعِيَ إِلَى الْمُصَالِحَةِ فَمَا أَجَابَ إِلَى الصُّلْحِ،

كَمْ شَاهَدَ الْوَاصِلِينَ فِيهِ وَهُوَ مُتَبَاعِدٌ، كَمْ مَرَّتْ بِهِ زُمْرُ السَّائِرِينَ وَهُوَ قَاعِدٌ،
حَتَّى إِذَا ضَاقَ بِهِ الْوَقْتُ وَخَافَ الْمَقْتِ نَدِمَ عَلَى التَّفْرِيطِ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ،
وَطَلَبَ الْاسْتِدْرَاكَ فِي وَقْتِ الْعَدَمِ...

يَا شَهْرَ رَمَضَانَ تَرَفَّقْ، دُمُوعُ الْمُحِبِّينَ تَدْفَقُ، قُلُوبُهُمْ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ
تَشَقُّقٌ، عَسَى وَفَقَةٌ لِلْوَدَاعِ أَنْ تُطْفِئَ مِنْ نَارِ الشُّوقِ مَا أَحْرَقَ، عَسَى سَاعَةٌ
تَوْبَةٍ وَإِقْلَاعٍ أَنْ تَرْفُؤَ^(١) مِنَ الصِّيَامِ مَا تَحْرَقُ، عَسَى مُنْقَطِعٌ عَنْ رَكْبِ الْمَقْبُولِينَ
أَنْ يَلْحَقَ، عَسَى أَسِيرُ الْأَوْزَارِ أَنْ يُطَلَّقَ، عَسَى مَنْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ يُعْتَقَ، عَسَى
رَحْمَةُ الْمَوْلَى لَهَا الْعَاصِي يُوَفَّقُ^(٢).

مَا أَوْحَشَ دَلَّ الْمَعْصِيَةَ بَعْدَ عِزِّ الطَّاعَةِ

◆ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هَذِهِ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، كُلُّهَا مَقَادِيرُ لِلْآجَالِ، وَمَوَاقِيتُ
لِلْأَعْمَالِ، ثُمَّ تَنْقُضِي سَرِيعًا، وَتَمْضِي جَمِيعًا، وَالَّذِي أَوْجَدَهَا وَابْتَدَعَهَا
وَخَصَّهَا بِالْفَضَائِلِ وَأَوْدَعَهَا بَاقٍ لَا يَزُولُ، وَدَائِمٌ لَا يَحُولُ، هُوَ فِي جَمِيعِ
الْأَوْقَاتِ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَلِأَعْمَالِ عِبَادِهِ رَقِيبٌ مُشَاهِدٌ، فَسُبْحَانَ مَنْ قَلَّبَ عِبَادَهُ
فِي اخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ بَيْنَ وَظَائِفِ الْخَدَمِ، يُسَبِّغُ عَلَيْهِمْ فِيهَا فَوَاضِلَ النَّعْمِ،
وَيُعَامِلُهُمْ بِنَهَايَةِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ.

(١) رَفَأَ الثُّوبَ: لَأَمْ خَرَقَهُ وَخَاطَهُ بِنَسَاجَةٍ أَوْ خَيْطٍ.

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٨٠).

لَمَّا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ الثَّلَاثَةُ الْكِرَامِ الَّتِي أَوَّلَهَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ، وَآخِرُ شَهْرِ الصِّيَامِ، أَقْبَلَتِ الْأَشْهُرُ الثَّلَاثَةُ، أَشْهُرُ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَكَمَا أَنَّ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَقَامَهُ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَمَا يَمْضِي مِنْ عُمْرِ الْمُؤْمِنِ سَاعَةٌ مِنَ السَّاعَاتِ إِلَّا وَاللَّهُ فِيهَا عَلَيْهِ وَظِيفَةٌ مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، فَالْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ هَذِهِ الْوِظَائِفِ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى مَوْلَاهُ وَهُوَ رَاجٍ خَائِفٌ.

الْمُحِبُّ لَا يَمَلُّ مِنَ التَّقَرُّبِ بِالنَّوَافِلِ إِلَى مَوْلَاهُ، وَلَا يَأْمَلُ إِلَّا قُرْبَهُ وَرِضَاهُ...

كُلُّ وَقْتٍ يُحَلِّيهِ الْعَبْدُ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاهُ فَقَدْ حَسِرَهُ، وَكُلُّ سَاعَةٍ يَعْطَلُ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَكُونُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تِرَةً.

فَوَا أَسْفَاهُ عَلَى زَمَانٍ ضَاعَ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ!

وَاحْسَرَتَاهُ عَلَى قَلْبٍ بَاتَ فِي غَيْرِ خِدْمَتِهِ...

مَنْ عَمِلَ طَاعَةً مِنَ الطَّاعَاتِ وَفَرَّغَ مِنْهَا فَعَلَامَةٌ قَبُولِهَا أَنْ يَصِلَهَا بِطَاعَةٍ أُخْرَى، وَعَلَامَةٌ رَدِّهَا أَنْ يَعْقُبَ تِلْكَ الطَّاعَةَ بِمَعْصِيَةٍ.

مَا أَحْسَنَ الْحَسَنَةَ بَعْدَ السَّيِّئَةِ تَمْحُوهَا! وَأَحْسَنُ مِنْهَا بَعْدَ الْحَسَنَةِ تَتْلُوهَا، وَمَا أَقْبَحَ السَّيِّئَةَ بَعْدَ الْحَسَنَةِ تَمْحُقُهَا وَتَعْفُوهَا!

ذَنْبٌ وَاحِدٌ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَفْبَحُ مِنْ سَبْعِينَ ذَنْبًا قَبْلَهَا، النَّكْسَةُ أَصْعَبُ مِنَ الْمَرَضِ، وَرُبَّمَا أَهْلَكَتْ.

سَلُوا اللَّهَ الثَّبَاتَ عَلَى الطَّاعَاتِ إِلَى الْمَمَاتِ، وَتَعَوَّدُوا بِهِ مِنْ تَقَلُّبِ
الْقُلُوبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، مَا أَوْحَشَ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ بَعْدَ عِزِّ الطَّاعَةِ،
وَأَفْحَشَ فَقْرَ الطَّمَعِ بَعْدَ غِنَى الْقَنَاعَةِ، اِرْحَمُوا عَزِيزَ قَوْمٍ بِالْمَعَاصِيِ ذُلَّ،
وَعَنِيَّ قَوْمٍ بِالذُّنُوبِ افْتَقَرُوا...

يَا شُبَّانَ التَّوْبَةِ، لَا تَرْجِعُوا إِلَى اِرْتِضَاعِ ثَدِي الْهَوَى مِنْ بَعْدِ الْفِطَامِ،
فَالرِّضَاعُ إِنَّمَا يَصْلُحُ لِلْأَطْفَالِ لَا لِلرِّجَالِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مَرَارَةِ
الْفِطَامِ، فَإِنْ صَبَرْتُمْ تَعَوَّضْتُمْ عَنْ لَذَّةِ الْهَوَى بِحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ،
مِنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ لَمْ يَجِدْ فَقْدَهُ وَعَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ
خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]...، وَهَذَا الْخِطَابُ
لِلشَّبَابِ؛ فَأَمَّا الشَّيْخُ إِذَا عَاوَدَ الْمَعَاصِي بَعْدَ انْقِضَاءِ رَمَضَانَ فَهُوَ أَفْبَحُ وَأَقْبَحُ،
لِأَنَّ الشَّبَابَ يُؤْمَلُ مُعَاوَدَةَ التَّوْبَةِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَهُوَ مُخَاطَرٌ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ
قَدْ يُعَاجِلُهُ، وَقَدْ يَطْرُقُهُ بَغْتَةً، فَأَمَّا الشَّيْخُ فَقَدْ شَارَفَ مَرْكَبَهُ سَاحِلَ بَحْرِ الْمُنُونِ
فَمَاذَا يُؤْمَلُ؟!«^(١).

يَا مَنْ فَاتَهُ الْحَجَّ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِخْوَانِي: إِنْ حُبِسْتُمْ الْعَامَ عَنِ الْحَجِّ فَارْجِعُوا إِلَى جِهَادِ النَّفُوسِ، فَهُوَ
الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ، أَوْ أَحْصِرْتُمْ عَنْ آدَاءِ الشُّسْكِ فَأَرِيقُوا عَلَى تَخْلُفِكُمْ مِنَ الدُّمُوعِ

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٣٩٢).

مَا تَيْسَّرَ، فَإِنَّ إِرَاقَةَ الدِّمَاءِ لَأَزِمَةٌ لِلْمُحْصِرِ، وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَ أَدْيَانِكُمْ بِالذُّنُوبِ، فَإِنَّ الذُّنُوبَ حَالِقَةُ الدِّينِ لَيْسَتْ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، وَقُومُوا لِلَّهِ بِاسْتِشْعَارِ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَقَامَ الْقِيَامِ بِأَرْجَاءِ الْخَيْفِ وَالْمَعْشَرِ، وَمَنْ كَانَ قَدْ بَعْدَ عَنْ حَرَمِ اللَّهِ، فَلَا يُبْعِدُ نَفْسَهُ بِالذُّنُوبِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ تَابَ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ حَجِّ الْبَيْتِ أَوْ الْبَيْتِ مِنْهُ بَعِيدٌ، فَلْيَقْصِدْ رَبَّ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِمَّنْ دَعَاهُ وَرَجَاهُ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(١).

أَيُّهَا الْعَاصِي مَتَى تَتُوبُ؟

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«يَا مَنْ لَا يُقْلَعُ عَنْ ارْتِكَابِ الْحَرَامِ لَا فِي شَهْرِ حَلَالٍ وَلَا فِي شَهْرِ حَرَامٍ، يَا مَنْ هُوَ فِي الطَّاعَاتِ إِلَى وَرَاءِ، وَفِي الْمَعَاصِي إِلَى قُدَّامٍ، يَا مَنْ هُوَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ عُمْرِهِ شَرًّا مِمَّا كَانَ فِي قَبْلِهِ مِنَ الْأَيَّامِ، مَتَى تَسْتَفِيقُ مِنْ هَذَا الْمَنَامِ؟! مَتَى تَتُوبُ مِنْ هَذَا الْإِجْرَامِ؟! يَا مَنْ أَنْذَرَهُ الشَّيْبُ بِالْمَوْتِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الْأَثَامِ، أَمَا كَفَاكَ وَعَظُّ الشَّيْبِ مَعَ وَعَظِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ؟ الْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَالسَّلَامِ»^(٢).

العَجَلُ قَبْلَ هُجُومِ الْأَجَلِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«احذَرُوا الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهَا تَحْرِمُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ مَوَاسِمِ الرَّحْمَةِ.

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٤٤٠).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٤٥٤).

المعاصي سبب البعد والطرْد، كما أن الطاعات أسباب القرب والودد...
إخوانكم في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام، وقصدوا البيت الحرام،
وملأوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام، لقد ساروا
وقعدنا، وقرَّبوا وبعَدنا؛ فإن كان لنا معهم نصيبٌ سعدنا...

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، فما منها عوض
ولأ لها قيمة، المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل،
قبل أن يندم المفترط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحًا فلا
يجاب إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمن وبلوغ الأمل، قبل
أن يصير المرء مرتها في حفرته بما قدّم من عمل...

يا من طلع فجر شبيه بعد بلوغ الأربعين، يا من مضى عليه بعد ذلك
ليالي عشر سنين حتى بلغ الخمسين، يا من هو في معترك المنايا ما بين
الستين والسبعين، ما تتظن بعد هذا الخبر إلا أن يأتيك اليقين؟ يا من ذنوبه
بعدد الشفع والوتر! أما تستحي من الكرام الكاتبين؟ أم أنت ممن يكذب
بيوم الدين؟ يا من ظلمة قلبه كالليل إذا يسري أما أن لقلبك أن يستنير أو
يلين؟ تعرّض لنفحات مولاك في هذا العشر؛ فإن فيه لله نفحات يصيب
بها من يشاء فمن أصابته سعد بها آخر الدهر»^(١).

(١) «لطائف المعارف» (ص ٤٧٦).

لِمَنِ الْعِيدُ؟

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَهَذِهِ أَعْيَادُ الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا وَكُلُّهَا عِنْدَ إِكْمَالِ طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ، وَحَيَازَتُهُمْ لِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ...

لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَبَسَ الْجَدِيدَ؛ إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ طَاعَاتُهُ تَزِيدُ، لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ تَجَمَّلَ بِاللَّبَاسِ وَالرَّكُوبِ، إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ غُفِرَتْ لَهُ الذُّنُوبُ، فِي لَيْلَةِ الْعِيدِ تُفَرَّقُ خِلْعَ الْعِتْقِ وَالْمَغْفِرَةِ عَلَى الْعَبِيدِ، فَمَنْ نَالَ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَهُ عِيدٌ، وَإِلَّا فَهُوَ مَطْرُودٌ بَعِيدٌ»^(١).

إِلَى مَنْ يَطْمَعُ فِي الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«يَا مَنْ يَطْمَعُ فِي الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ يَمْنَعُ نَفْسَهُ الرَّحْمَةَ بِالْإِضْرَارِ، عَلَى كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْأَوْزَارِ، تَاللهَ مَا نَصَحْتَ نَفْسَكَ، وَلَا وَقَفَ فِي طَرِيقِكَ غَيْرُكَ، تَوَبَّقُ نَفْسَكَ بِالْمَعَاصِي فَإِذَا حُرِمْتَ الْمَغْفِرَةَ قُلْتَ: أَنَّى هَذَا: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْعِتْقِ فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنَ اللهِ فَ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٤٨٤).



المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿التوبة: ١١١﴾، من كرمت عليه نفسه هان عليه كل ما يبذل في افتكاكها من النار»^(١).

الحج شعائر ومشاعر

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«وعمّا قليل تقف إخوانكم بعرفة في ذلك الموقف، فهنيئاً لمن رزقه، يجأرون إلى الله بقلوبٍ مُحترقة، ودُموعٍ مُستبقة، فكم فيهم من خائفٍ أزعجه الخوف وأقلقه، ومحبّ ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظنّ بوعد الله وصدقته، وتائبٍ نصّح لله في التوبة وصدقته، وهاربٍ لجأ إلى باب الله وطرقه، فكم هنالك من مستوجبٍ للنار أنقذه الله وأعتقه، ومن أسيرٍ للأوزار فكّه وأطلقه، وحينئذٍ يطلع عليهم أرحم الرّحماء، ويباهي بجمعهم أهل السماء، ويدنو ثم يقول: ما أَرَادَ هُوَ لَآء؟ لَقَدْ قَطَعْنَا عِنْدَ وُصُولِهِمُ الْحِرْمَانَ وَأَعْطَاهُمْ نَهَايَةَ سُؤْلِهِمُ الرَّحْمَنَ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى وَمَنَعَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ...»

من فاته في هذا العام القيام بعرفة، فليتم لله بحقه الذي عرفه، من عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله وقد قربته وأزلفه، من لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف، فليتم لله بحق الرجاء والخوف، من لم يقدر

(١) «لطائف المعارف» (ص ٤٩٦).



عَلَى نَحْرِ هَدِيهِ بِمَنَى فَلْيَذْبَحْ هَوَاهُ هُنَا، وَقَدْ بَلَغَ الْمُنَى، مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى
الْبَيْتِ لِأَنَّهُ مِنْهُ بَعِيدٌ، فَلْيَقْصِدْ رَبَّ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ دَعَاؤِهِ وَرَجَائِهِ مِنْ
حَبْلِ الْوَرِيدِ.

نَفَحَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَفْحَةً مِنْ نَفْحَاتِ الْأُنْسِ، مِنْ رِيَاضِ الْقُدْسِ، عَلَى
كُلِّ قَلْبٍ أَجَابَ إِلَى مَا دُعِيَ، يَا هِمَمَ الْعَارِفِينَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا تَقْنَعِي، يَا عَزَائِمَ
النَّاسِكِينَ، لِحُجْمِ أَنْسَاكِ السَّالِكِينَ اجْمَعِي، لِحُبِّ مَوْلَاكِ أَفْرِدِي وَبَيْنَ خَوْفِهِ
وَرَجَائِهِ أَقْرِنِي وَبِذِكْرِهِ تَمَتَّعِي.

يَا أَسْرَارَ الْمُحِبِّينَ بِكَعْبَةِ الْحُبِّ طُوفِي وَارْكَعِي وَبَيْنَ صَفَاءِ الصِّفَا وَمَرَوَةِ
الْمَرَوَةِ اسْعِي وَأَسْرِعِي، وَفِي عَرَافَاتِ الْعِرْفَانِ قِفِي وَتَضَرَّعِي، ثُمَّ إِلَى مُزْدَلِفَةَ
الزُّلْفَى فَادْفَعِي، ثُمَّ إِلَى مَنْى نَيْلِ الْمُنَى فَارْجِعِي، فَإِذَا قَرَّبَ الْقَرَابِينَ فَقَرِّبِي
الْأَرْوَاحَ وَلَا تَمْنَعِي، لَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ وَلَكِنْ قَلَّ السَّالِكُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَكَثُرَ
الْمُدَّعِي» (١).

لَقَدْ أَسْرَفْتُمْ!

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«يَا أَبْنَاءَ الْعِشْرِينَ: كَمْ مَاتَ مِنْ أَقْرَانِكُمْ وَتَخَلَّفْتُمْ، يَا أَبْنَاءَ الثَّلَاثِينَ:
أَصَبْتُمْ بِالشَّبَابِ عَلَى قُرْبٍ مِنَ الْعَهْدِ فَمَا تَأَسَّفْتُمْ، يَا أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ: ذَهَبَ
الصَّبَابُ وَأَنْتُمْ عَلَى اللُّهُوِّ قَدْ عَكَفْتُمْ، يَا أَبْنَاءَ الْخَمْسِينَ: تَنَصَّفْتُمْ الْمِائَةَ وَمَا

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٠٠).



أَنْصَفْتُمْ، يَا أَبْنَاءَ السَّيِّئِينَ: أَنْتُمْ عَلَى مُعْتَرِكِ الْمَنَائِيَا قَدْ أَشْرَفْتُمْ أَتْلَهُونَ وَتَلْعَبُونَ لَقَدْ أَشْرَفْتُمْ!!»^(١).

نَوْمُ الْغَفْلَةِ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يَا مَنْ تَمُرُّ عَلَيْهِ سَنَةٌ بَعْدَ سَنَةٍ، وَهُوَ مُسْتَقْتَلٌ فِي نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَالسَّنَةِ، يَا مَنْ يَأْتِي عَلَيْهِ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ، وَقَدْ غَرِقَ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا فَعَامٌ، يَا مَنْ يُشَاهِدُ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ كُلَّمَا تَوَالَتْ عَلَيْهِ الْأَعْوَامُ وَالشُّهُورُ، وَيَسْمَعُ الْآيَاتِ وَالسُّورَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ وَلَا بِمَا يَرَى مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ، مَا الْحِيلَةُ فِيمَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ فِي الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [٤٦] ﴿[الحج: ٤٦]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]»^(٢).

«ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ»

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتِ الْمَخْلُوقَاتُ بِحَمْدِهِ فَمَلَأَ الْأَكْوَانَ تَحْمِيدُهُ، وَأَفْصَحَتِ الْكَائِنَاتُ بِالشَّهَادَةِ بُوْحَدَانِيَّتِهِ فَوَضَّحَ تَوْحِيدُهُ، يُسَبِّحُهُ النَّبَاتُ جَمْعُهُ وَفَرِيدُهُ، وَالشَّجَرُ عَتِيقُهُ وَجَدِيدُهُ، وَيَمَجِّدُهُ رُهْبَانُ الْأَطْيَارِ فِي صَوَامِعِ الْأَشْجَارِ فَيُطْرَبُ السَّامِعَ تَمَجِيدُهُ، كُلَّمَا دَرَسَ الْهَزَارُ دَرَسَ شُكْرِهِ فَالْبُلْبُلُ بِالْحَمْدِ مُعِيدُهُ،

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٢٧).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٢٩).

وَكُلَّمَا أَقَامَ خَطِيبُ الْحَمَامِ النَّوْحَ عَلَى الدَّوْحِ هَيَّجَ الْمُسْتَهَامَ نَوْحُهُ وَتَغْرِيْدُهُ:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩].

وَاعْجَبًا لِلْمُتَقَلِّبِ بَيْنَ مُشَاهِدَةِ حِكْمِهِ وَتَنَاوُلِ نِعْمِهِ، ثُمَّ لَا يَشْكُرُ نِعْمَهُ
وَلَا يُبْصِرُ حِكْمَهُ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُعْصَى الْمُنْعَمُ بِنِعْمِهِ، هَذَا عَوْدُ شَجَرِ
الْكَرْمِ يَكُونُ يَابِسًا طَوَلَ الشِّتَاءِ ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّيْبُ دَبَّ فِيهِ الْمَاءُ وَاخْضَرَ ثُمَّ
يَخْرِجُ الْحِصْرِمَ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ حَامِضًا وَيَتَنَاوَلُونَ مِنْهُ طَبْخًا وَاعْتِصَارًا ثُمَّ
يَنْقَلِبُ حُلُومًا فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ حُلُومًا رَطْبًا وَيَابِسًا، وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ مَا يَنْتَفِعُونَ
بِحَلَاوَتِهِ طَوَلَ الْعَامِ وَمَا يَأْتِدْمُونَ بِحِمِضِهِ وَهُوَ نِعْمٌ الْإِدَامِ.

فَهَذِهِ التَّنْقِلَاتُ تُوْجِبُ لِلْعَاقِلِ الدَّهْشَ وَالتَّعْجِبَ مِنْ صُنْعِ صَانِعِهِ وَقُدْرَةِ
خَالِقِهِ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَرِّغَ عَقْلَهُ لِلتَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ النِّعَمِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَأَمَّا
الْجَاهِلُ فَيَأْخُذُ الْعِنَبَ فَيَجْعَلُهُ خَمْرًا فَيَغْطِي بِهِ الْعَقْلَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ
فِي الْفِكْرِ وَالشُّكْرِ حَتَّى يَنْسَى خَالِقَهُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ كُلِّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ
بَعْدَ الشُّكْرِ أَنْ يَذْكُرَهُ وَلَا يَشْكُرَهُ بَلْ يَنْسَى مِنْ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ فَلَا يَعْرِفُهُ فِي
سُكْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَهَذِهِ نَهَايَةُ كُفْرَانِ النِّعَمِ...

وَمِنْ وُجُوهِ الِاعْتِبَارِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ بِمَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنْ قَطْرِ السَّمَاءِ، أَنَّهُ يُرْجَى مِنْ كَرَمِهِ أَنْ يُحْيِيَ
الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالذُّنُوبِ وَطُولِ الْغَفْلَةِ، بِسَمَاعِ الذِّكْرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِلَى





ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٦-١٧]

فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِوَابِلِ الْقَطْرِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ الْقَاسِيَةِ بِالذُّكْرِ، عَسَى لَمِحَّةٍ مِنْ لَمَحَاتِ عَطْفِهِ، وَنَفْحَةٍ مِنْ نَفَحَاتِ لُطْفِهِ، وَقَدْ صَلَحَ مِنَ الْقُلُوبِ كُلِّ مَا فَسَدَ فَهُوَ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ.. عَسَى مَنْ أَحْيَا الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِالْقَطْرِ، أَنْ يُحْيِيَ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالذُّكْرِ، عَسَى نَفْحَةٌ مِنْ نَفَحَاتِ رَحْمَتِهِ تَهْبُّ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا» (١).

أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يَا مَنْ تُتَلَى عَلَيْهِ أَوْ صَافُ جَهَنَّمَ، وَيُشَاهِدُ تَفْسَهَا كُلَّ عَامٍ حَتَّى يَحْسَّ بِهِ وَيَتَأَلَّمَ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى مَا يَقْتَضِي دُخُولَهَا مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ، سَتَعْلَمُ إِذَا جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَنْ يَنْدَمُ، أَلَيْسَ صَبْرٌ عَلَى سَعِيرِهَا وَزَمِيرِهَا؟ قُلْ وَتَكَلَّمْ، مَا كَانَ صَلاَحَكَ يُرْجَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٢).



(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٤٩).

(٢) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٥٧٦).

أَمَا أَنْ لِفُؤَادِكَ أَنْ يَصْحُو؟!

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«التَّوْبَةُ التَّوْبَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْمَوْتِ النَّوْبَةُ، فَيَحْصُلُ الْمُفْرَطُ عَلَى النَّدَمِ وَالْحَيِّبَةِ.

الْإِنَابَةُ الْإِنَابَةُ قَبْلَ غَلْقِ بَابِ الْإِجَابَةِ، الْإِفَاقَةُ الْإِفَاقَةُ فَقَدْ قَرَّبَ وَقْتُ الْفَاقَةِ، مَا أَحْسَنَ قَلَقَ التُّوَابِ! مَا أَحْلَى قُدُومَ الْغِيَابِ! مَا أَجْمَلَ وُقُوفَهُمْ بِالْبَابِ!...

مَنْ نَزَلَ بِهِ الشَّيْبُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْحَامِلِ الَّتِي تَمَّتْ شُهُورٌ حَمَلَهَا فَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا الْوِلَادَةَ، كَذَلِكَ صَاحِبُ الشَّيْبِ لَا يَنْتَظِرُ إِلَّا الْمَوْتَ فَفِيحُ مِنْهُ الْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ...

أَيُّهَا الْعَاصِي: مَا يَقْطَعُ مِنْ صِلَاكِ الطَّمَعِ، مَا نَصَبْنَا الْيَوْمَ شَرِكَ الْمَوَاعِظِ إِلَّا لِتَقَعِ، إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَأَنْتَ عَازِمٌ عَلَى التَّوْبَةِ قَالَتْ لَكَ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: مَرَحَبًا وَسَهْلًا، فَإِنْ قَالَ لَكَ رُفَقَاؤُكَ فِي الْمَعْصِيَةِ: هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَقُلْ لَهُمْ: كَلَّا، ذَاكَ خَمْرُ الْهَوَى الَّذِي عَهْدْتُمْوهُ قَدْ اسْتَحَالَ خَلَا، يَا مَنْ سَوَّدَ كِتَابَهُ بِالسَّيِّئَاتِ قَدْ آنَ لَكَ بِالتَّوْبَةِ أَنْ تَمْحُو، يَا سَكْرَانَ الْقَلْبِ بِالشَّهَوَاتِ أَمَا أَنْ لِفُؤَادِكَ أَنْ يَصْحُو؟! (١).

(١) «لطائف المعارف» (ص ٥٩٨).

المَطَلَبُ الثَّانِي:
وَمَصَات وَشَدَرَات



♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ، ثَقَلَتْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ»^(١).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كَثِيرٌ مَا تَقْتَرِنُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ بِالشَّطْحِ وَالِإِدْلَالَ، وَمَا يُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ مِنَ الْأَفْوَالِ وَالْأَفْعَالِ»^(٢).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عَنْ ذِي النُّونِ قَالَ: (الْأُنْسُ بِاللَّهِ نُورٌ سَاطِعٌ، وَالْأُنْسُ بِالنَّاسِ غَمٌّ وَاقِعٌ)»^(٣).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لَقَدْ كَبُرَتْ هِمَّةُ اللَّهِ مَطْلُوبُهَا، وَشَرَفَتْ نَفْسُ اللَّهِ مَحْبُوبُهَا»^(٤).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥]، وَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ يُقَالُ: إِنَّ سِرَّ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا تَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَتَدْوِرُ عَلَيْهَا»^(٥).

(١) «اخْتِيَارُ الْأَوْلَى»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٦٨ / ١).

(٢) «اسْتِنشَاقُ نَيْسَمِ الْأُنْسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١٦٢ / ١).

(٣) «اسْتِنشَاقُ نَيْسَمِ الْأُنْسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٢١٥ / ١).

(٤) «الْمَحَجَّةُ فِي سِرِّ الدَّلْجَةِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٤٥٢ / ١).

(٥) «نُورُ الْأَقْبَاسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٦٨ / ١).



♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَمَتَى تَمَكَّنَتِ الْمَحَبَّةُ فِي الْقَلْبِ، لَمْ تَبْعَثِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ الرَّبِّ»^(١).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَالشَّهَوَاتُ لَا يُذْهِبُهَا مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ، إِمَّا خَوْفٌ مُزِعِجٌ مُحْرِقٌ، أَوْ شَوْقٌ مُبْهِجٌ مُقْلِقٌ»^(٢).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ ارْتِكَابَ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ، الَّتِي يَنْقُصُ بِهَا الْإِيمَانُ تَكُونُ مَانِعَةً مِنْ قَبُولِ بَعْضِ الطَّاعَاتِ»^(٣).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«قَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ قَدْرَ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَخَفِ اللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ»^(٤).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«إِذَا تَكَلَّمْتَ، فَادْكُرْ سَمْعَ اللَّهِ لَكَ، وَإِذَا سَكَتَ فَادْكُرْ نَظْرَهُ إِلَيْكَ»^(٥).

(١) «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/ ٣٧٥).

(٢) «التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (٣/ ٢٠).

(٣) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (ص ٩٦).

(٤) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (ص ٢٠٩).

(٥) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (ص ٢٠٩).





♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير»^(١).

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، ورُبَمَا دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُنْدُوبَاتِ، وَتَرْكُ الْمَكْرُوهَاتِ، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى»^(٢).

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«كَتَبَ رَجُلٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَخٍ لَهُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا أَكْرَمُ مَا أَسْرَرْتَ، وَأَزِينُ مَا أَظْهَرْتَ، وَأَفْضَلُ مَا ادَّخَرْتَ، أَعَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَيْهَا، وَأَوْجِبَ لَنَا وَلَكَ ثَوَابَهَا»^(٣).

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«مِنْ كَلَامِ بَعْضِ السَّلَفِ: يَا رَبِّ عَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفَكَ كَيْفَ يَرْجُو غَيْرَكَ، عَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفَكَ كَيْفَ يَسْتَعِينُ بِغَيْرِكَ»^(٤).

♦ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«قِيلَ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٥).

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٦٧).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٩٦).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٠١).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٦٢).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (ص ٦٤٤).



❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«قال الربيع بن أنس: (إن الله ذاكراً من ذكره، وزائداً من شكره، ومعذباً من كفره)»^(١).

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«الدُّنْيَا كُلُّهَا شَهْرُ صِيَامِ الْمُتَّقِينَ، وَعِيدُ فِطْرِهِمْ يَوْمَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، وَمُعْظَمُ نَهَارِ الصِّيَامِ قَدْ ذَهَبَ، وَعِيدُ اللَّقَاءِ قَدْ اقْتَرَبَ»^(٢).

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«الْعَاقِلُ يَغْبِطُ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرَاتِ، وَنَيْلِ عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ، وَالْجَاهِلُ يَغْبِطُ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الشَّهَوَاتِ، وَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى اللَّذَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ»^(٣).

❖ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«مَا مَضَى مِنَ الْعُمُرِ وَإِنْ طَالَتْ أَوْقَاتُهُ، فَقَدْ ذَهَبَتْ لَذَائِعُهُ، وَبَقِيَتْ تَبَعَاتُهُ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ وَمِيقَاتُهُ»^(٤).

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٦٥٢).

(٢) «لطائف المعارف» (ص ٧٣).

(٣) «لطائف المعارف» (ص ٤٣٢).

(٤) «لطائف المعارف» (ص ٥٢٦).



المَطَلَبُ الثالثُ:

مُقَدِّمَاتُ لِكُتُبٍ وَمُؤَلَّفَاتٍ

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَيَّ قُلُوبَ أَحِبَّابِهِ مِنْ فَيْحِ مَحَبَّتِهِ، فَعَبَقَ فِيهِمْ نَشْرَهُ وَفَاحَ، وَشَرَحَ صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ؛ فَأَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورُهُ وَوَلَّاحَ، أَحْيَاهُمْ بَيْنَ رَجَائِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَغَدَّاهُمْ بِوَلَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ، فَسُبْحَانَ مَنْ ذَكَرَهُ قُوتُ الْقُلُوبِ وَقُوَّةُ الْعُيُونِ وَسُرُورُ النُّفُوسِ وَرُوحُ الْحَيَاةِ وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَجَافَى عَنِ الْمَضَاجِعِ الْجُنُوبِ، وَبِرَجَاءِ رَحْمَتِهِ تَنَفَّسَ عَنْ نُفُوسِ الْخَائِفِينَ الْكُرُوبِ، وَبِرُوحِ مَحَبَّتِهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ وَتَرْتَاحُ، مَا طَابَتْ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَلَا الْآخِرَةُ إِلَّا بِقُرْبِهِ وَرُؤْيَتِهِ، فَلَوْ احْتَجَبَ عَنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِاسْتِغَاثِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يَسْتَعِيثُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَأَعْلَنُوا بِالصِّيَاحِ، كُلُّ قُلُوبٍ تَأَلَّهَتْ سِوَاهُ فَهِيَ فَاسِدَةٌ لَيْسَ لَهَا صِلَاحٌ، وَكُلُّ صُدُورٍ خَلَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ وَتَقَوَّاهُ فَهِيَ ضَيِّقَةٌ لَيْسَ لَهَا انْشِرَاحٌ، وَكُلُّ نُفُوسٍ أَعْرَضَتْ عَنْ ذِكْرِهِ فَهِيَ مُظْلَمَةٌ الْأَرْجَاءِ وَالنَّوَاحِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا وَمِصْبَاحٌ﴾

[النور: ٣٥].

أَحْمَدُهُ وَنَشْرُ ذِكْرِهِ كُلَّمَا نَشَرَ فَاحَ، وَأَشْكُرُهُ، وَمَزِيدُهُ عَلَى الشَّاكِرِينَ يَتَجَدَّدُ بِالْعُدُودِ وَالرَّوَّاحِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَسْتَمِدُّهَا سِلَاحًا عَلَى الْأَعْدَاءِ، فَنِعْمَ الْجَنَّةُ وَنِعْمَ السَّلَاحُ، وَأَسْتَعِدُّهَا مِفْتَاحًا لِبَابِ دَارِ الْبَقَاءِ، فَمَا لِلْجَنَّةِ سِوَاهَا مِفْتَاحٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ مُفْصِحًا بِتَوْحِيدِهِ أَيَّ إِفْصَاحٍ،
مَوْضِحًا لِعَبِيدِهِ سَبِيلَ الْهُدَى كُلَّ الْإِتِّصَاحِ، فَلَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَرِّفُ بِاللَّهِ حَتَّى
يُعَرِّفَ تَوْحِيدَهُ فِي جَمِيعِ النَّوَاحِ، وَيُخَوِّفُ بِاللَّهِ حَتَّى لَانَتِ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَةَ
وَصَحَّتْ كُلُّ الْفَلَاحِ، وَيَذَكِّرُ بِالْآلَاءِ اللَّهِ حَتَّى انْشَرَحَتْ الْقُلُوبُ بِمَحَبَّتِهِ أَعْظَمَ
انْشِرَاحٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَكُونُ سَبَبًا لِلْفَلَاحِ، فَحَيَّ
عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ»^(١).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْجِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمُصْطَفِي
مَا شَاءَ مِنْ بِلَادِهِ بِمَزِيدِ الْإِيمَانِ وَالْبَرَكَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، فَطُوبَى لِمَنْ وَحَدَهُ، وَتَبًّا لِمَنْ أَشْرَكَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَخْصُوصُ بِالْفَضْلِ الَّذِي مَا بَلَغَهُ
سِوَاهُ وَلَا أَدْرَكَهُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ طَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ فَهِيَ لِأُمَّتِهِ خَيْرُ
مَمْلَكَةٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ افْتَقَى طَرِيقَهُ وَسَلَكَهُ»^(٢).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْمَجِيدِ، ذِي الْبَطْشِ الشَّدِيدِ، الْمُبْدِيِ الْمُعِيدِ، الْفَعَّالِ
لِمَا يُرِيدُ، الْمُتَّقِمِ مِمَّنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ بَعْدَ الْإِنذَارِ بِهَا وَالْوَعِيدِ، الْمُكْرِمِ لِمَنْ

(١) «اسْتِنشَاقُ نَسِيمِ الْأَنْسِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/١٦٠).

(٢) «فَضَائِلُ الشَّامِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١/١١٤).



خَافَهُ وَاتَّقَاهُ بِدَارٍ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدٍ، فَسَبَّحَانَ مَنْ قَسَمَ خَلْقَهُ قِسْمَيْنِ
وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: ﴿فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦].

أَحْمَدُهُ وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَالشَّانِ وَالْتِمَجِيدِ، وَأَشْكُرُهُ، وَنِعْمَهُ بِالشُّكْرِ تَدْوِمٌ
وَتَزْيِيدٌ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا كُفُوًا وَلَا عَدَلَ وَلَا ضِدًّا
وَلَا نَدِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ، السَّاعِي
بِالنُّصْحِ إِلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، الْمُحَذِّرِ لِلْعَاصِينَ مِنْ نَارٍ تَلْطَى بِدَوَامِ الْوَقِيدِ،
الْمُبَشِّرِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِدَارٍ لَا يَنْفَدُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا تَزَالُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ فِي
تَجْدِيدِهِ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ، وَنَصَبَ لَهُمُ
الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيائِهِ لِيَهَابُوهُ وَيَخَافُوهُ خَوْفَ الْإِجْلَالِ، وَوَصَفَ
لَهُمْ شِدَّةَ عَذَابِهِ وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ،
وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيهَا لِأَعْدَائِهِ مِنَ
العَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرُّقُومِ وَالضَّرِيعِ وَالْحَمِيمِ وَالسَّلَاسِلِ
وَالْأَغْلَالِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهَا مِنَ الْعِظَائِمِ وَالْأَهْوَالِ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ

إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ، فَمَنْ تَأَمَّلَ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ وَأَدَارَ فِكْرَهُ فِيهِ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ، وَكَذَلِكَ السُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي هِيَ مُفَسَّرَةٌ وَمُؤَيَّنَةٌ لِمَعَانِي الْكِتَابِ، وَكَذَلِكَ سِيرَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَنْ تَأَمَّلَهَا عَلِمَ أَحْوَالَ الْقَوْمِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ وَالْإِحْبَاتِ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي رَفَّاهُمْ إِلَى تِلْكَ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَقَامَاتِ السَّنِيَّاتِ، مِنْ شِدَّةِ الاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَالْانْتِكَافِ عَنِ دَقَائِقِ الْأَعْمَالِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ» (١).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْكَنَ عِبَادَهُ هَذِهِ الدَّارَ، وَجَعَلَهَا لَهُمْ مَنْزِلَةً سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ، وَجَعَلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَجَعَلَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَرَزَخًا يَدُلُّ عَلَى فَنَاءِ الدُّنْيَا بِاعْتِبَارٍ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَيَرْفُقُ بِعِبَادِهِ الْأَبْرَارِ، فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَتَسْبِقُ رَحْمَتُهُ بِعِبَادِهِ غَضَبَهُ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفَّارُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الْغِزَارِ، وَأَشْكُرُهُ وَفَضْلُهُ عَلَيَّ مِنْ شَكَرٍ مِذْرَارٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ، الرَّسُولُ الْمَبْعُوثُ بِالتَّبَشِيرِ وَالْإِنذَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) «التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ»، «مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ» (١٧/٣).



وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَتَجَدَّدُ بِرَكَاتِهَا بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ»^(١).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النُّعْمَةَ، وَجَعَلَ أُمَّتَنَا -وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ- خَيْرَ أُمَّةٍ، وَبَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا مِنَّا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيْنَا وَيُعَلِّمُنَا
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.

أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الْجَمَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
شَهَادَةً تَكُونُ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهَا خَيْرَ عِصْمَةٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
أَرْسَلَهُ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةً، وَفَرَضَ عَلَيْهِ بَيَانَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، فَأَوْضَحَ لَنَا كُلَّ الْأُمُورِ
الْمُهَيْمَةِ، وَخَصَّهُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَرُبَّمَا جَمَعَ أَشْتَاتَ الْحِكْمِ وَالْعُلُومِ فِي
كَلِمَةٍ، أَوْ شَطْرَ كَلِمَةٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، صَلَاةً تَكُونُ لَنَا
نُورًا مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا»^(٢).

♦ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، الرَّحِيمِ الْغَفَّارِ، مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ
وَالْأَبْصَارِ، مُقَدِّرِ الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مُكَوِّرِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ، وَمُكَوِّرِ
اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، أَسْبَلَ ذَيْلَ اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ لِلْسُّكُونِ وَالْإِسْتِتَارِ، وَأَنَارَ مَنَارَ
النَّهَارِ، فَأَصَاءَ لِلْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِشَارِ، وَجَعَلَهُمَا مَوَاقِيتَ لِلْأَعْمَالِ وَمَقَادِيرَ

(١) «أَهْوَالُ الْقُبُورِ» (٥ / ٧٧).

(٢) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (ص ١٥).



لِلْأَعْمَارِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحُسْبَانٍ وَمِقْدَارٍ، وَيَعْتَقِبَانِ فِي دَارَةِ
الْفَلَكَ الدَّوَّارِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَدْوَارِ، وَجَعَلَهُمَا مَعَالِمَ لِيُعْلَمَ بِهِمَا أَوْقَاتُ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَيُهْتَدَى بِهِمَا إِلَى مِيقَاتِ الصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالْإِفْطَارِ، حُجَّةً قَائِمَةً قَاطِعَةً لِلْأَعْدَارِ، وَحِكْمَةً
بَالِغَةً مِنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ذِي اقْتِدَارٍ.

أَحْمَدُهُ، وَحَلَاوَةً مَحَامِدِهِ تَزْدَادُ مَعَ التَّكْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ، وَفَضْلُهُ عَلَيَّ مَنْ
شَكَرَ مَذْرَارَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تُبْرِي قَائِلَهَا
مِنَ الشِّرْكِ بِصِحَّةِ الْإِقْرَارِ، وَتُبَوِّئُ قَائِلَهَا دَارَ الْقَرَارِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ الْبَدْرُ جَبِينُهُ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ، وَالْيَمُّ يَمِينُهُ
فَإِذَا سُئِلَ أُعْطِيَ عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْإِقْتَارَ، وَالْحَنِيفِيَّةُ دِينُهُ الدِّينُ الْقِيَمُ
الْمُخْتَارَ، رَفَعَ اللَّهُ بِيَعْتِهِ عَنْ أُمَّتِهِ الْأَغْلَالَ وَالْأَصَارَ، وَكَشَفَ بِدَعْوَتِهِ أَدَى
الْبَصَائِرِ وَقَدَى الْأَبْصَارِ، وَفَرَّقَ بِشَرِيعَتِهِ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ وَالْفُجَّارِ، حَتَّى امْتَازَ
أَهْلُ الْيَمِينِ مِنْ أَهْلِ الْيَسَارِ، وَانْفَتَحَتْ أَقْفَالُ الْقُلُوبِ فَاَنْشَرَحَتْ بِالْعِلْمِ
وَالْوَقَارِ، وَزَالَ عَنِ الْأَسْمَاعِ أَثْقَالُ الْأَوْقَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَوْلِي
الْإِقْدَامِ وَالْأَقْدَارِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَقْطَابِ الْأَقْطَارِ، صَلَاةً تُبَلِّغُهُمْ فِي تِلْكَ
الْأَوْطَانِ نَهَايَةَ الْأَوْطَارِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا»^(١).

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ٢٥).

المَطَلَبُ الرَّابِعُ:
قَصِيدَةُ (أَفِي دَارِ الْخَرَابِ تَظَلُّ تَبْنِي؟!)

مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ رِسَالَةٍ فِي دَمِّ قَسْوَةِ الْقَلْبِ
وَأَسْبَابِهَا وَمَا تَزُولُ بِهِ

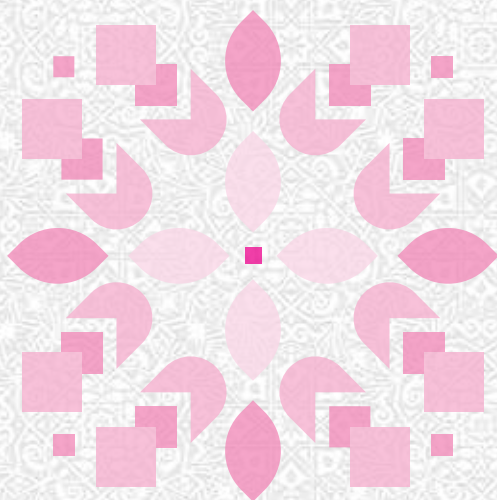
وَأَفِي دَارِ الْخَرَابِ تَظَلُّ تَبْنِي
 وَمَا تَرَكْتُ لَكَ الْإَيَّامَ عُذْرًا
 وَتَعْمُرُ، مَا لِعِمْرَانٍ خُلِقْتَا
 لَقَدْ وَعَظْتِكَ لَكِنْ مَا اتَّعَظْتَا
 وَتُعَلِّنُ: إِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنْتَا
 عَنِ الدَّاعِي كَأَنَّكَ مَا سَمِعْتَا
 وَتُسْمِعُكَ النَّدَاءَ وَأَنْتَ لَاهِ
 وَتَعْلَمُ أَنَّهُ سَفَرٌ بَعِيدٌ
 وَعَنْ إِعْدَادِ زَادٍ قَدْ غَفَلْتَا
 تَنَامُ وَطَالِبُ الْإَيَّامِ سَاعِ
 وَرَاءَكَ لَا يَنَامُ فَكَيْفَ نِمْتَا
 مَعَائِبُ هَذِهِ الدُّنْيَا كَثِيرٌ
 وَأَنْتَ عَلَى مَحَبَّتِهَا طُبِعْتَا
 يَضِيعُ الْعُمْرُ فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ
 وَلَوْ أُعْطِيتَ عَقْلًا مَا لَعِبْتَا
 فَمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ سِوَى جَحِيمِ
 لِعَاصٍ أَوْ نَعِيمٍ إِنْ أَطَعْتَا
 وَلَسْتَ بِأَمِلٍ رَدًّا لِدُنْيَا
 فَتَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتَا
 وَأَوَّلُ مَنْ أَلُومَ الْيَوْمَ نَفْسِي
 فَقَدْ فَعَلْتَ نَظَائِرَ مَا فَعَلْتَا
 أَيَا نَفْسِي أَخَوْضًا فِي الْمَعَاصِي
 وَبَعْدَ الْأَرْبَعِينَ [وَعِبَّ] سِتًّا
 وَأَرْجُو أَنْ يَطُولَ الْعُمْرُ حَتَّى
 أَرَى زَادَ الرَّحِيلِ وَقَدْ تَأْتَى
 أَيَا غُضْنَ الشَّبَابِ تَمِيلُ زَهْوًا
 كَأَنَّكَ قَدْ مَضَى زَمَنٌ وَشَبْتَا
 عَلِمْتَ فَدَعْ سَبِيلَ الْجَهْلِ وَاحْذَرِ
 وَصَحَّحْ قَدْ عَلِمْتَ وَمَا عَمِلْتَا
 وَيَا مَنْ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ قُلْ لِي
 أَيْمَنُكَ الرَّدَى مَا قَدْ جَمَعْتَا
 وَيَا مَنْ يَبْتَغِي أَمْرًا مُطَاعًا
 لِيُسْمِعَ نَافِذًا مَنْ قَدْ أَمَرْتَا

عَجَبْتَ إِلَى الْوِلَايَةِ لَا تُبَالِي أَجُرْتَ عَلَى الْبَرِيَّةِ أَمْ عَدَلْنَا
 أَلَا تَدْرِي بِأَنَّكَ يَوْمَ صَارَتْ إِلَيْكَ بَغَيْرِ سَكِينٍ دُبِحْنَا
 وَلَيْسَ يَقُومُ فَرْحَةٌ قَدْ تَوَلَّى بِتَرْحَةٍ يَوْمَ تَسْمَعُ قَدْ عَزَلْنَا
 وَلَا تُمَهِّلْ فَإِنَّ الْوَقْتَ يَسْرِي فَإِنْ لَمْ تَغْتَنِمْهُ فَقَدْ أَضَعْنَا
 تَرَى الْأَيَّامَ تُبْلِي كُلَّ غُضْنٍ وَتَطْوِي مِنْ سُرُورِكَ مَا نَشَرْنَا
 وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا الدُّنْيَا مَنَامٌ فَأَحْلَى مَا تَكُونُ بِهِ انْتَبَهْنَا
 فَكَيْفَ تُصَدُّ عَنْ تَحْصِيلِ بَاقٍ وَبِالْفَانِي وَزُخْرُفِهِ شُغِلْنَا
 هِيَ الدُّنْيَا إِذَا سَرَّتْكَ يَوْمًا تَسُوؤُكَ ضِعْفَ مَا فِيهَا سُرْرَتَا
 تَعْرُكَ كَالسَّرَابِ فَأَنْتَ تَسْرِي إِلَيْهِ وَلَيْسَ تَشْعُرُ إِنْ غُرْرَتَا
 وَأَشْهَدُ كَمْ أَبَادَتْ مِنْ حَبِيبٍ كَأَنَّكَ آمِنٌ مِمَّا شَهَدْنَا
 وَتَدْفِنُهُمْ وَتَرْجِعُ ذَا سُرُورٍ بِمَا قَدْ نَلْتِ مِنْ إِرْثٍ وَحَرْنَا
 وَتَنْسَاهُمْ وَأَنْتَ غَدًا سَتَفْنِي كَأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ وَلَا وُجِدْنَا
 تُحَدِّثُ عَنْهُمْ وَتَقُولُ: كَانُوا نَعَمْ كَانُوا كَمَا وَاللَّهِ كُنْنَا
 حَدِيثُكَ هُمْ وَأَنْتَ غَدًا حَدِيثٌ لَغَيْرِهِمْ فَأَحْسِنْ مَا اسْتَطَعْنَا
 يَعُودُ الْمَرْءُ بَعْدَ الْمَوْتِ ذِكْرًا فَكُنْ حَسَنَ الْحَدِيثِ إِذَا ذُكِرْنَا
 سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ عَمٍّ وَخَالٍ وَمَالِكَ وَالسُّؤَالَ وَقَدْ عَلِمْنَا
 أَلَسْتَ تَرَى دِيَارَهُمْ خَلَاءً فَقَدْ أَنْكَرْتَ مِنْهَا مَا عَرَفْنَا



أَهَمُّ الْمَرَاجِعِ

- ١- مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ، تَحْقِيقُ نَاصِرِ النَّجَّارِ، مَكْتَبَةُ أَوْلَادِ الشَّيْخِ لِلتُّرَاثِ، مِصْرُ.
- ٢- جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ، تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ طَارِقِ بِنِ عَوَضِ اللَّهِ بِنِ مُحَمَّدٍ، دَارُ ابْنِ الْجَوَزِيِّ، السُّعُودِيَّةُ.
- ٣- لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ، تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ طَارِقِ بِنِ عَوَضِ اللَّهِ بِنِ مُحَمَّدٍ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ، لُبْنَانُ.





الفهرس

- ٠٥ مَقْدِمَةٌ
- ١١ تَرْجَمَةٌ مُخْتَصِرَةٌ لِلْإِمَامِ ابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ
- ٢٣ الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: رَوَائِعُ الْكَلِمَاتِ، وَجَمِيلُ الْعِبَارَاتِ
- ٢٥ يَا مَنْ يَطْمَعُ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ
- ٢٥ يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَأَنْقَلَبَ
- ٢٦ مُوَجِبَاتُ الْمَحَبَّةِ
- ٢٧ أَعْظَمُ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ
- ٢٨ مِنْ غَلَطَاتٍ وَمُغَالَطَاتٍ بَعْضِهِمْ
- ٢٩ يَا جُنُودَ الْعَزَائِمِ اثْبُتُوا
- ٣٠ مَنْ صَدَقَ الْعَزِيمَةَ
- ٣١ تَذَكَّرْ ذُنُوبَكَ
- ٣١ «وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»
- ٣٢ «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ»
- ٣٢ لَا تَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ
- ٣٥ نَصِيحَةٌ فِي طَرِيقِ طَلَبِ الْعِلْمِ
- ٣٨ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ

- ٣٩ «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ»
- ٤٠ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى
- ٤١ الصَّدْقُ فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ
- ٤١ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ
- ٤٢ «لِيَمِثِلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»
- ٤٣ ذَمُّ الْحَمْرِ وَأَهْلِهِ
- ٤٣ رِسَالَةٌ إِلَى شَارِبِ الْحَمْرِ
- ٤٥ الْمَوَاعِظُ وَأَثَرُهَا عَلَى الْقُلُوبِ
- ٤٥ «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ»
- ٤٦ رِسَالَةٌ عِتَابٍ
- ٤٦ بَيْنَ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَحَيَاةِ الْقُلُوبِ
- ٤٧ رَائِحَةُ الْإِخْلَاصِ
- ٤٨ فَتْنَتَا الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ
- ٤٩ حَقِيقَةُ التَّقْوَى
- ٤٩ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى
- ٥٠ مِنْ مَعَايِبِ الدُّنْيَا
- ٥١ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ»
- ٥١ أَهْلُ اللَّيْلِ

- ٥٢ الجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ
- ٥٤ مِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ
- ٥٥ «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»
- ٥٦ يَا مَعْرُورًا بِطُولِ الْأَمَلِ
- ٥٧ كَمْ سَلَبْتَ الْمَعَاصِي مِنْ نَعَمٍ، وَجَلَبْتَ مِنْ نَقَمٍ!؟
- ٥٨ مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ
- ٥٩ إِنَّهُ رَمَضَانٌ
- ٦٠ «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»
- ٦١ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
- ٦٢ «لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ»
- ٦٣ الْحَرَمَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
- ٦٣ مَنْ رُدَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
- ٦٤ مِنْ مَعَانِي الْعِيدِ
- ٦٤ أَيُّهَا الْعَاصِي لَا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
- ٦٥ أَنْفَعُ الْاسْتِغْفَارِ
- ٦٦ يَا شَهْرَ رَمَضَانَ تَرَفَّقْ
- ٦٧ مَا أَوْحَشَ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ بَعْدَ عِزِّ الطَّاعَةِ
- ٦٩ يَا مَنْ فَاتَهُ الْحَجَّ

- ٧٠ أَيُّهَا الْعَاصِي مَتَى تَتُوبُ؟
- ٧٠ الْعَجَلُ قَبْلَ هُجُومِ الْأَجَلِ
- ٧٢ لِمَنِ الْعِيدُ؟
- ٧٢ إِلَى مَنْ يَطْمَعُ فِي الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ
- ٧٣ الْحَجُّ شَعَائِرٌ وَمَشَاعِرُ
- ٧٤ لَقَدْ أَسْرَفْتُمْ!
- ٧٥ نَوْمُ الْغَفْلَةِ
- ٧٥ «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ»
- ٧٧ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ
- ٧٨ أَمَا أَنْ لِفُؤَادِكَ أَنْ يَصْحُو؟!
- ٧٩ **المَطْلَبُ الثَّانِي: وَمَضَاتٌ وَشَدَرَاتٌ**
- ٨٥ **المَطْلَبُ الثَّلَاثُ: مُقَدِّمَاتٌ لِكُتُبٍ وَمَوْلَفَاتٌ**
- ٩٣ **المَطْلَبُ الرَّابِعُ: قَصِيدَةُ (أَفِي دَارِ الْخَرَابِ تَظَلُّ تَبْنِي؟!)**
- ٩٧ **أهم المراجع**
- ٩٩ **الفهرس**



صَدْرُ الْمُؤَلَّفِ



facebook.com/daralfunon
+9647803322713

ISBN 978-9969-502-20-6



9 789969 502206

